سلوك الطريق إلى ..

مَعْرِفَةِ اَلْصَدِيق

أبو الحسن

حميد المقدس الغريفي

منشورات مكتب أنصار الحجة (عج) الإسلامي

سلوك الطريق إلى ...

مَعْرِفَـةِ اَلْصَـــدِيق

أبو الحسن
حميد المقدّس الغريفي

منشورات
مكتب أنصار الحجة عج الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م

هوية الكتاب

الكتاب سلوك الطريق الى معرفة الصديق .

المؤلف أبو الحسن حميد المقدس الغريفي .

الناشر مكتب أنصار الحجة (عج) الإسلامي.

المطبعة مطبعة النبراس / النجف الأشرف.

الطبع ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣م.

الكمية ٢٠٠٠ نسخة.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمكنكم مراسلتنا عبر البريد الالكتروني التالي :

info@almoqdsalghorayfi.com

كما يمكنكم الاطلاع على موقعنا التالي :

www.almoqdsalghorayfi.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدّين.

ليس من الترف الفكري أن نتكلم عن الصداقة وحدودها وضوابطها وحقوقها وأسباب خسارتها بل نجدها من الضرورات المُلِحَّة من الناحية الشرعية والاجتماعية لحاجة أبنائنا ومجتمعاتنا وشعوبنا الضرورية إلى تقوية أواصرهم وزيادة تماسكهم وتحصين علاقاتهم خوفاً من الوقوع في الزلل والانحراف والابتذال والظلم والخيانة والفشل ، ولذا كان لابد من التعرض لبيان جهة التجاذب والتنافر بين الناس بما يُؤمّن لهم التمييز بين ذلك ومراعاة ما يلزم اتجاه الإنسان الصديق أو الأخ الكاشر[1] أو الخَصْم أو العدو ، وعلى ضوء معرفة ذلك تتحدّد العلاقات الاجتماعية وتحركاتها ومداليلها وتُراعى لأجلها الحقوق والضوابط وآليات التعامل لكل نوع مما ذكرنا من أجل دفع العدوان وحفظ الحقوق والانسجام مع الأصدقاء والسمو بالنفس والارتقاء بها نحو القوّة والعِزّة و الكمال وتحقيق الأهداف المشروعة ، وهذا مطلب يفرضه

---

[1] - الكاشر : هو أن يكشف عن أنيابه حين التبسم ، وتكون علاقته مبنية على المجاملة فهو أخ لك ولكنه ليس بصديق . فانك تصيب لذتك من أخوان المكاشرة ولكن لا تقطعن ذلك منهم ، ولا تطلبن ما وراء ذلك عن ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان .

الواقع الإنساني الذي يطمح بالسير نحو حفظ الحقوق المادية والمعنوية وتحصيل الاستقرار والاطمئنان والتقدم والازدهار في العلاقات الإنسانية والعمل الجماعي ، ولذا فإنَّ الإسلام يحث ويؤكد على بناء علاقات على أُسسٍ رصينة تتناسب مع الفطرة الإنسانية والثقافة المُعتمدة على المبادئ الواقعية والقيم الأصيلة والأخلاق الحميدة لكي تُسَوِّر هذه العلاقات بسورٍ يحميها من التصدّع والتفكك والانهيار ، ثُمَّ لابد من العلم بأنَّ العوامل المؤدية إلى انهيار العلاقات تارة تنبع من ذات الإنسان الأمّارة بالسوء والمتصفة بالخبث والسوء وما تحمله من آفات نفسية وسلوكية مريضة وعدوانية ، وتارة أخرى تكون العوامل مكتسبة من البيئة الاجتماعية التي يعيشها ذلك الإنسان أو من خارجها فيتأثر بها ويتفاعل معها كالتي تأتي مثلاً من الغزو الفكري والثقافي الخارجي وما يتضمنه من قيم وأعراف ونُظم هي غريبة عن واقع مجتمعاتنا فتكون أشبه ما يكون بفايروسات مُعدية تُغَيِّر أبنائنا ومجتمعاتنا وشعوبنا من حالة صحية إلى حالة مرضية تُعاني أزمات نفسية واجتماعية يظهر عليها التردد والتذبذب والانفعالات المتناقضة والتقمص الشاذ فتؤدي بهم إلى التراجع والضعف والهزال والتخلف والانقسام وبالتالي الانقلاب على الذات والانسلاخ عن الهوية بحيث تُصبح عاجزة عن النهوض بسبب جفاف عروقها أو اقتلاعها من جذورها ومقومات حياتها أو تهديم أسباب قوَّتها وعزَّتها وكرامتها فتعيش أجواء بيئية اجتماعية فاسدة وفاشلة وغريبة عن واقعها وتصبح أسيرة وفقيرة وضعيفة في تحركاتها على الساحة العلمية والتقنية والصناعية والاجتماعية وهذا مما يؤثر سلباً على وجودها وسيادتها واستقلالها وعلاقاتها لأنَّها ستصبح شعوب غير مؤهلة بنظر الاستكبار العالمي فيطمعون بها ولذا تُفرَض عليها الوصاية بطريقةٍ أو بأخرى والأساليب والذرائع لفرض هذه النتيجة كثيرة بينما

نجد أنَّ هذه الشعوب غائبة عن وعيها ومصالحها العامة والمخاطر المُحدقة بها بسبب مشاكلها وتناقضها وانقسامها وفقرها وما إلى ذلك مما جاء عن طريق تدخل الدول الاستكبارية في حياة هذه الشعوب وبلورة النزاع والانقسام والصراع بين أبنائها لدواعي استعمارية وتبشيرية وبالتالي تتسع رقعة الفراغ داخل الشعب في مختلف النُظم الحياتية لتكون سبباً لتسلط قوى الاستكبار وملئهم الفراغ بنُظم ودساتير وقيم وأعراف وأفكار وظواهر غريبة عن الواقع الإسلامي تحت شعار المعاصرة والحداثة ومواكبة الغرب في عولمتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية والعسكرية وبالتالي لا تنال هذه الشعوب المستضعفة سوى الخيبة والخُسران والعمالة للاستكبار وضياع دينها وثقافتها وصيرورتها بعيدة عن الاستقلال والسيادة والحرية في مواقفها ومشاريعها الإستراتيجية والعلمية وتكون عاجزة عن مقاومة الغزاة الطامعين في بلادها وخيراتها ، و هذه السياسة تُفرَض على الشعوب بمنطق الترغيب والترهيب والحيلة تحت عناوين تُحدث الفتنة والانقسام وتخلق الفساد والصراع والحروب داخل الشعوب والتي منها عنوان الحداثة والمعاصرة والمدنية والانفتاح والحرية والديمقراطية والعولمة والعلمانية والليبرالية ومواكبة الحضارة الغربية ، ومَن يُقاوم ولا يرضخ لهذه المفاهيم بمعاييرها الازدواجية وقيمها المنحرفة وثقافتها الفاسدة وآلياتها القاصرة وغير المنضبطة فإنَّ الاستكبار يَنْعَته بالرجعي والمتخلف والإرهابي بل يستعملون اتجاهه مختلف الوسائل لتمكين الطغاة العملاء منه كما أنَّهم يُحرِّكون الأذرع الاستعمارية كمجلس الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمحكمة الجنائية الدولية وصندوق النقد الدولي ومنظمات حقوقية واقتصادية لتطويق الشعوب أو الجماعات المقاومة وفرض الوصاية عليها تحت بند الفصل السابع الذي يُبيح وفق ما يُسمَّى بالشرعية الدولية

المزعومة استعمال أبشع الممارسات اللاانسانية بحقها من أجل تمزيقها وفرض السيطرة عليها ، ولكن ينبغي بعد هذا الكلام أن لا يُحمَل حديثنا على أننا لا نؤمن بالمدنية الحقيقية والانفتاح على العلوم التقنية والنُظم الإدارية المتطورة والعولمة الواقعية التي رائدها الحق والعدل والسلام وهو الإسلام الصحيح وليس العولمة للمبادئ والقيم والثقافة الغربية النصرانية واللادينية ، ومن هنا نرفض عولمة الغرب ونُظمهم الاجتماعية والدينية ومسلكيتهم الاستعلائية والاستعمارية اتجاه شعوبنا لأنها مزيفة ومحرفة وليس من وراءها هدف إلا الاستعمار والتبشير والتدمير .

وبهذا الواقع يُريد الغرب وعملائهم من حُكّام البلاد الإسلامية في عصرنا الراهن من إشاعة استعمال مصطلحي الرجعية والإرهاب لكل مَنْ يرفض سياساتهم الشيطانية الإستكبارية التي تُشيع الفقر والجهل والمرض ، ولذا استعملوا ضدً المقاومين للاحتلال والمناهضين للطُغيان سياسة الدم والحبس ومصادرة الحقوق والكذب والتسقيط والحروب المتواصلة عليهم من دون وازع إنساني ، وهذه أساليب بعيدة كُلّ البُعد عن واقع الإنسانية والتحضر والمَدنية والحُرية والديمقراطية والعدالة التي استعملها الغرب كعناوين ظاهرية وواجهة يتذرع بها لتصدير ثقافتهم المنحرفة وفرض سياستهم الاستعمارية ومحاربة العالم الإسلامي واستضعاف الشعوب وتفكيك أواصرها وتذويبها وبالتالي جعلها أداة يستثمرون من خلالها مشاريعهم العدوانية ، وبهذا وأمثاله تبتني العلاقات الغربية وعملائهم حيث تحكم تعاملاتهم فيما بينهم ومع الآخرين لغة المصالح والقوة بعيدة عن الدواعي الشرعية والإنسانية وحقوق الصداقات ، ويكون العمل بموجب المصالح والقوة في علاقات الناس من دواعي الحزن والأسى لأنها تحطم الروابط الاجتماعية وتُلغي الاهتمام

بالمشاعر الإنسانية والجوانب الروحية وتستخف بهما لينحصر العمل بالبُعد المادّي الذي يزول بزوال المصلحة والقوة وتنتهي معها العلاقة ، وأخذت هذه اللغة في العلاقات تسود لتصبح ثقافة عامّة لا تقتصر على المصالح المادية بل صار الشياع فيها يتعدى إلى جميع العلاقات الإنسانية لتُشكل خطراً عظيماً على المجتمعات والشعوب ، ولا نبالغ إذا قلنا أنّها أصبحت من الكوارث الاجتماعية التي تحتاج إلى جُهد جماعي لنشر الوعي والنُصح والمشورة والإصلاح في صفوف المجتمعات لتفادي هذا الخطر الوبائي المتفشي بينهم ، وبما أنّ بحثنا عن العلاقات الاجتماعية عموماً سواء كانت بين الأفراد أو الجماعات والأحزاب والمؤسسات أو بين الدول فلابد أن نقول : تعرّف على الصداقة لتعرف موقعك اتجاه الآخر ثمّ لتعرف صديقك من عدُوّك ومن أخيك الكاشر ومن خصمك ، وكُن حريصاً على أصدقائك وأميناً صدوقاً في علاقاتك ، واعلم أنّه ليس كلّ خصمٍ لك هو عدو ، فرُبَّ صديق أو أخٍ كاشر يكونا خصماً لك في أمرٍ ولكن ما إن ترتفع الخصومة بالتراضي أو بحكم عادل فإنّ علاقتهما تعود إلى مجاريها الصحيحة وكأنّ شيئاً لَمْ يكن ، ويُمكن أن يصبح الأخ الكاشر صديقاً إذا ارتقى في أفكاره الصحيحة وسلوكه العادل وأهدافه المشروعة إلى مستوى قرينه فحينئذٍ يُصبح صديقاً له بل ربما يكون العدو أخاً كاشراً لك إذا رجع عن عدوانه وظلمه وصحّحَ أخطاءه ومسيرته ، ولكن ليس من العقل والحكمة أن تتخذه صديقاً لأنّ من سمات الصداقة أن ترى نفسك في صديقك ويكون أحدهما مرآةً للآخر ، وقد قيل لبعض العارفين من نصحب من الناس ؟ قال : مَنْ يعلم منكم مثل ما يعلم الله ثم يستر عليكم كما يستر الله ، وهذه درجة عالية من المكاشفة والوضوح والتلازم والاقتران

والأمان والوفاء ولا يحصل ذلك للعدو النادم والمتراجع عن عدوانه إلا بعناية فائقة يندر توافرها فافهم واحذر .

وعليك أن تفهم معنى كُلٍّ من الصاحب وهو الأخ الكاشر ومعنى الصديق والخَصْم والعَدو ومُراعاة حدود التعامل مَع كل واحد منهم وكذا تقييمهم وفق العدل والإنصاف فتأمَن بذلك من الوقوع في الخيانة والنفاق والظلم والخسارة ، وبهذا تتمكن من حفظ صداقاتك وتعدل في أحكامك وتكون مؤهلاً في الدنيا لحفظ الأصدقاء وكسب الجُدد منهم ، ولا تَغْفَل أيُها القارئ الكريم عن فَهم تجربة أصحاب الرسول (ﷺ) وطبيعة علاقاتهم في إطار الصُحبَة أو الصداقة، ومن هنا نستطيع أن نُحدِّد طبيعة علاقاتنا على ضوء الكتاب والسُنّة ومرويات أهل البيت (عليهم السلام) ، ونُراعي الجانب الشرعي لنحصل بها على الاستقامة في الدنيا وننال رضا الله تعالى .

وبعد ذكر هذه المُقدمة ندخل في بيان موضوعات بحثنا بشكل يسهل على القارئ العزيز بمختلف المستويات أن يستفيد من البحث الذي لا يخرج عن كونه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وإبداءً للنصيحة وكشفاً لحقيقة الصداقة وحدودها وضوابطها واهتماماً بواقع العلاقات الاجتماعية ورعاية لحقوق الإنسان والمجتمع من أن تشيع فيه ظاهرة الخيانة والغدر والنفاق والمصالح الشخصية الضيِّقة ولكشف واقع الصُحبَة والصداقة وطبيعة ارتباطها وجهة ولائها وحقيقة أهدافها.

وقد اعتمدت في كتابتي هذا البحث على رؤية إسلامية وحكمة إنسانية مبنية على نصوص من القرآن الكريم والسُنَّة النبوية وكلمات العترة الطاهرة الذين هُم منبع العلم والحكمة والعدل والإحسان ، وقد قسَّمت كتابي إلى

مقدمة وخاتمة وما بينهما عناوين متعددة ذات علاقة بالصداقة وحدودها وبيان النقيض منها وكذا التعرف على المراتب الأخرى من العلاقات ، وفي معرفة ذلك فائدة كبيرة لنشر الوعي الاجتماعي والشرعي في بناء العلاقات الصحيحة واعتمادها وترك العلاقات المنحرفة أو تقويمها وتأهيلها من خلال النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إضافة إلى الفرز العادل بين العلاقتين ، وأرجوا من الله تعالى بذلك كلّه قبول هذا العمل ورضاه فإنّه خالص لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

أبو الحسن حميد المُقدّس الغريفي

النجف الأشرف

١/رجب الأصب/١٤٣١هـ

مدخل

لما كانت العلاقات الاجتماعية مما لا غنى عنها في الحياة الإنسانية كان لابد من تنظيمها وفق ضوابط وموازين عادلة تحفظ فيها حقوق الجميع وتمنع عنها الظلم والفوضى والفساد لكي لا تنقلب الحقائق ويأكل الناس بعضهم بعضاً وكأنّهم في مجتمع الغاب ، ومن هنا فإنَّ الخالق العظيم الذي خلق الكون وما فيه يعلم ما يُصلحه وما يُفسده لذا رتَّبَ نظاماً دقيقاً كونياً وشرعياً واجتماعياً واقتصادياً .... يحفظ لهذا الموجود مصالحه على مستوى الفرد والجماعة ويقوي من أواصره اجتماعياً بما يجعله قابلاً للتواصل والتحاور والانسجام مع الآخرين بحيث أسَّسَ نظاماً اجتماعياً وحَاكَ نسيجه وبَيَّنَ معالمه وخطوطه الواضحة وفق مبادئ رصينة وقيم صالحة وأخلاق حميدة وحقوق عادلة ، ولولا هذا النظام الأصيل المحفوظ في الكتاب الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة لاختلطت القضايا على الناس ولضاع الحق والحقيقة والحقوق في متاهات الشبهات والانفلات عن القانون الربَّاني وبالتالي تنقلب موازين العلاقات الاجتماعية فيرى الناس الحق باطلا والباطل حقاً ، كما يرون المعروف منكراً والمنكر معروفاً والصديق عدواً والعدو صديقاً أو أخاً كاشراً وتشيع حينها العلاقات الوهمية ويضيع معها حُسن الارتباط بالآخرين ليأكل القوي الضعيف وتنعدم المشاعر الإنسانية بينهم لأنَّ الأمور تجري وفق منطق القوة والغلبة والمصلحة فلا يؤمن أحدهم بالمودة والولاء والمحبة والانسجام والإخلاص والعدل والسلام لكونها مفاهيم يستعملها الضعفاء والجبناء بنظر

المنحرفين وبالتالي تسود العداوة والخيانة والغدر والنفاق وما إلى ذلك ، وبدلاً من أن يسعى الإنسان لنشر الفضيلة والعدل وإقامة مجتمع فاضل يكون قد نشر الفساد والظلم وأقام مجتمعاً فاسقاً ومجرماً وكافراً يُلغي في اعتباراته الميول الفطرية السليمة نحو الآخر، ولذا لابد من متابعة النظام الاجتماعي العادل الذي يحترم الإنسان ويُشجعه على بناء علاقات إنسانية عادلة تعتمد المبادئ الحقّة والقيم الأصيلة ومكارم الأخلاق ، وبهذا المنطق السليم والسلوك القويم يقترن المؤمنون بعضهم ببعض اقتراناً يملأه الصدق والمودة والحُب والأمانة والعدل .. لمحورية ارتباطهم في الله تعالى وهذا ما يُعبَّر عنه بالصداقة الصدوقة.

وقد وردت نصوص كثيرة عن الصداقة في الكتاب والسُنَّة وفي كلام حكماء البشر لعظيم أمرها وأثرها البالغ في حياة الأمم والشعوب لأنَّ لها مدخلية واسعة في قوَّة الشعوب ورُقيها وازدهارها ، وأما لو انعدمت الصداقة أو قَلَّت وندرت فسوف يؤثر سلباً على مجتمعاتنا وشعوبنا وتفقد الكثير من تماسكها وقوة أواصرها ، وتشيع بينها العداوة والخيانة والنفاق والمصالح بحيث يؤدي إلى تراجعها وضعفها وعدم استقرارها بل إلى تفككها وانحلالها وانهيارها ، ومن هنا كان لابد من التعرض لبيان مفهوم الصداقة ومعرفة الضد منها لتكتمل الصورة وتتضح المعالم والحدود بدرجة لا يشوبها الغموض والتشويش ، وهذا ما يجعلنا نتكلم عن مفهوم العداوة التي هي ضد الصداقة وكذا الخيانة والمصالح الضيِّقة وما يُماثلها لنفهم تأثير هذه المواقف على الإنسان وعلى الشعوب وبالتالي يُمكن أن نُلقي الضوء على قيمة كل إنسان من خلال ما يتصف به من الصداقة أو العداوة والأمانة أو الخيانة والاستقرار أو الفوضى و ...

مفهوم الصداقة

فالصداقة والمصادقة : المخالة. وصدقه النصيحة والإخاء: أمحضه له. وصادقته مصادقة وصداقا: خاللته، والاسم الصداقة. وتصادقا في الحديث وفي المودة، والصداقة مصدر الصديق، واشتقاقه أنه صدقه المودة والنصيحة [1].

وقال الفراهيدي:الصداقة مصدر الصديق، وقد صادقه مصادقة أي يصدقه النصيحة والمودة [2] .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)[3] : ﴿**إنما سمي الصديق صديقا لأنه يصدقك في نفسك ومعايبك فمن فعل ذلك فاستنم إليه فإنه الصديق**﴾ .

ولذا قيل لبعض العارفين مَنْ نصحب من الناس ؟ قال : من يعلم منكم مثل ما يعلم الله ثم يستر عليكم كما يستر الله ، وهذه هي الصداقة والخُلَّة .

وقد عبَّر القرآن الكريم عن الصداقة بالخُلَّة والخليل والولاء والبطانة والمَودَّة وغيرها كما سنتعرض لبيان بعضها بالقدر الذي يتناسب مع هدف هذا البحث التربوي في العلاقات الاجتماعية والحياة العامَّة. ومما لاشك فيه أنَّ الصداقة : تعني العلاقة الوثيقة الصادقة المبنية على الثقة والمكاشفة والتي لها خصوصية بحيث لا يختلف ظاهرها عن باطنها والتي لها آثار تدل عليها منها التزاور والنصيحة والمودة والوفاء وحفظ الأسرار وقضاء الحوائج كما يكشف

---

[1]- لسان العرب لابن منظور : ج١٠ ص١٩٤ .

[2]- كتاب العين للفراهيدي : ج٥ ص٥٦ .

[3]- عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي الواسطي: ص١٧٨ .

عنها بعض التصرفات الشرعية كأكل أحدهما من طعام الآخر من دون استئذانه لإحراز رضا صديقه ، وبخلاف ما ذكرنا يكون كاشفاً عن عدم وجود صداقة ، ويُمكن أن نقول عن الصداقة أيضاً بأنها : **﴿حصن مقدّس يتقوّم بالتزام الحق والمصداقية في القول والعمل وحفظ الحقوق والثبات على العلاقة ومراعاة حدودها وضوابطها ما دامت ترتكز على أساس الحُب في الله والبُغض في الله والعطاء في الله والمنع في الله وموالاة أولياء الله والبراءة من أعدائهم﴾** .

ويُمكن أن نفهم معنى الصداقة أكثر من خلال معرفة الضد له وهو العداوة كما يتضح بشكل أوسع بالاطلاع على ما ينقض الصداقة كالخيانة ، ومن هنا كان لابد من التصدي لبيان مفهومي العداوة والخيانة .

مفهوم العداوة :

وهي ضد الصداقة والتي تعني الشحناء والنائرة المملوءة بالحقد والبغضاء.

يقول الرازي : العَدُوُّ ضدّ الوَلي والجمع (الأعداء) ، و(التَعَدِّي) مجاوزة الشيء إلى غيره ، و(العُدوان) الظُلم الصُراح [١] .

وقد حذر الله تعالى الناس من العدو الأكبر لهم وهو الشيطان الرجيم الذي يأمرهم بكل سوء ويحثهم على الفساد والانحراف والفرقة كما في قوله تعالى:[٢] **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**.

١ـ مختار الصحاح للرازي : ص٤١٨- ٤١٩ .

٢- البقرة / ١٦٨ – ١٦٩ .

وقوله تعالى:[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

وقوله تعالى[٢] : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

إذن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان حيث يسعى بأساليبه الخبيثة والمتنوعة لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس ويصدّهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة ، ويصبح لهذا الشيطان أتباعاً يُشيعون الضلالات والمفاسد والبدع ويستعملون آليات كثيرة هدّامة لتخريب الروح والفكر والبدن لأهداف وغايات وأسباب متعددة ويسلك المنحرفون متاهات الصراع العقيمة من أجل أهداف دنيوية دنيئة يُزَيِّنها لهم الشيطان ، فصاروا يبتدعون من وحي خيالهم مبادئ وقيماً وأخلاقاً بديلة عن الأصيلة منها ، ويؤسسون لأنفسهم منظومة يقلبون فيها موازين الحق والعدل بذريعة التجديد ومواكبة النهضة المعاصرة للشعوب التقدمية حتى وضعوا لنُظمهم ومناهجهم اصطلاحات بَرّاقة في ظاهرها ولكنها مقلوبة المضمون كالحداثة والمدنية والحرية وأمثالها لتوقعهم في فخ الشيطان فتُزَيِّن لهم مخالفة الحق والعدل والسلام .

وبالرغم من كلّ ذلك فقد بَيَّنَ الإسلام الموقف العملي للدعاة إزاء العدو من أتباع الشيطان في مقام الدعوة والمحاجّة في حال الخصومة العقدية والتشريعية والأخلاقية فقال لرسوله محمد (ﷺ)[٣] : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

---

١ - البقرة / ٢٠٨ .

٢ - المائدة / ٩١ .

٣ - فصلت / ٣٤ -٣٥ .

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ❖ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ومعنى ذلك أن يكون دفع الباطل ببيان الحق وليس بباطل آخر ودفع الغضب بالحلم وليس بغضب مُقابل ودفع الجهل بالعلم وليس بجهل آخر ودفع الإساءة بالعفو وليس بإساءة مُقابلة فإذا فعلت ذلك فإنَّ عدوك يُصبح كأنه ولي حميم شفيق ، وهذا الأسلوب الدعوي من أعلى وأكمل المراتب التي تحتاج إلى صبر عظيم ولذا قال تعالى :﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ ، فيبتعد بهذا التصرف الحكيم والصبر الجميل عن الصدام والمواجهة ويمتص به شدَّة العداوة و ويُخفِّف عن الحقد والبغضاء فيكون هذا دفعاً بالتي هي أحسن والذي يُمكن أن يتحول فيه العدو إلى صديق وهذا هو النتاج الدعوي الرسالي المطلوب .

وكان من جملة ما أمر به الله عزّ وجل في مقام العمل الدعوي في مواجهة المشركين وأهل الكتاب الذين هُم أعداء الرسالة والرسول والرساليين قوله تعالى[1] : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ .

وأما من جهة الإساءة المعنوية والعدوان المادي وما يترتب عليه من قصاص وعقوبة فللإنسان الخيار بالرَدِّ بالمثل أو العفو بحسب ما يُناسب الموقف حيث هناك مَن لا يؤثر فيه العفو والصفح والإحسان ولا يخضع لمنطق الحق والعدل بل يُصرُّ على التحدي والعدوان ولذا لا يُناسبه إلا المؤاخذة والقصاص ، وهناك مَنْ يؤثر فيه العفو فيكون مناسباً لاستمالته وكسبه و لا أقل من تأمين

---

[1]- النحل /١٢٥ .

جانبه من جهة العدوان والمحاربة ، وقد قال تعالى في مقام العفو :[١] ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، وكما أفاد القرآن الكريم باتخاذ موقف العفو إلا أنَّه أجاز الرد بالمثل لجهة تحقيق القصاص والعدل كما ذكرنا ، ولذا ففي مقام ردّ العدوان فإنَّ الله تعالى يقول[٢] : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وكذا الحال في قوله تعالى[٣] : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ❖ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ❖ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ .

وحينما نتكلم عن العدو والعدوان والعداوة فإنَّ أمرها منكشف ومعلوم للناس لظهور الحقد والبغضاء والتنافر والفعل العدواني ، وحينئذٍ لك أن تختار العفو والمعاملة بالتي هي أحسن كما لك أن تختار الردّ بالمثل لجهة القصاص بالعدل .

وقد تنشأ العداوة لأسباب كثيرة منها ؛ العصبية الدينية أو المذهبية أو الإلحادية أو النفاق أو الحسد أو الأنانية والمصالح الشخصية أو الخيانة والغيبة والنميمة والبهتان والكذب وشهادة الزور والتجسس وما إلى ذلك ، ولكل من هذه الأسباب حُكم شرعي وموقف رسالي يكشف فيه الحقيقة والواقع ولذا ينبغي مراعاة تطبيق الحكم لدرأ مفاسد هؤلاء الأعداء الذين يرتمون في أحضان الشيطان لكي لا تُمرَّر وسائلهم التضليلية على الناس التي تؤدي إلى الإيذاء

- الأنفال / ١٩٩

- البقرة / ١٩٤

- النحل / ١٢٦ ـ ١٢٨

والإضرار بالآخرين وسلب حقوقهم واعتباراتهم المعنوية ، وهذا العمل الإجرائي اتجاه الأعداء لا يتنافى مع مبدأ إصدار العفو ، لأنَّ العفو نتيجة تحصل بعد كشف واقع هؤلاء الأعداء و سَدِّ المنافذ عليهم لكي لا تُستعمل ممارساتهم الشيطانية وتؤثر في الناس لغايات مريضة وخبيثة .

وبما أنَّ بحثنا عن الصداقة كان لابد لنا أن نراعي حقوق وضوابط هذه الصداقة لكي لا نخسر أصدقائنا ، ومن جملة ما يهدم أركان الصداقة كما ذكرنا هي الخيانة ، ولشيوع هذه الآفة الشيطانية في مجتمعاتنا وتأثيرها الكبير على الواقع الإنساني كان لابد أيضاً أن نُخصِّص موضوعاً نتعرف فيه على مفهوم الخيانة .

مفهوم الخيانة

وهي بمعناها العام : نقض ما أبرم من الحق في عهد أو أمانة، والخيانة ضدّ الأمانة بمعناها المادي والمعنوي فتكون الخيانة في كُلِّ شيء من نقض العهود والمواثيق والالتزامات ونقص في الماديات وجحود لما اؤتمن عليه ، ومصاديق الخيانة كثيرة منها الغش في النصيحة والتجسس وإفشاء الأسرار والانقلاب على الصديق لدواعي نفعية ومصلحية خاصة بل حتى التسامح والتفريط في المحافظة على التراث والثقافة وتربية الأولاد وتعليمهم يُعَد من الخيانة وكذا تلاعب الانسان السيء ببعض أعضاء جسمه والاضرار بنفسه أو ما يؤدي إلى الانتحار لأنَّ هذه الأمور من الأمانات الإلهية التي كلَّف بها الإنسان ليحفظها في إطارها المطلوب الصحيح ، كما أنَّ التكاليف الإلهية كالعبادات تكون من الأمانات التي ينبغي مراعاتها إضافة إلى حفظ الحقوق وأداء الواجبات وعدم كتمان الحقائق بما لا يخرج جميع ما ذكرنا من مصاديق وغيرها عن جهة معرفة الله جلاً جلاله والولاية الإلهية ، ولذا عدم أداء هذه الأمانات يدخل في الخيانة لأنَّ الإنسان مستأمن عليها وقد قال تعالى[1]: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ❖ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

ولذا فخيانة ما يحمله الإنسان من أمانة يُعَدُّ من الكبائر التي يتوعد الله

---

[1] - الأحزاب/ ٧٢-٧٣.

تعالى عليها نار جهنم والعياذ بالله،و قد صَحَّ في الحديث عن النبي(ﷺ) أنه قال : **للمنافق ثلاث علامات إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا اؤتمن خان .**

وللأسف الشديد أصبحت الخيانة ثقافة سائدة في مجتمعاتنا ولا يُبالي أحدهم إذا قيل له أنت خائن مع عظيم جرمها وعقابها ، وقد جاء هذا من قلّة التدين ووجود الفراغ الدعوي وانشغال الدعاة بالدنيا عن أداء وظيفتهم الرسالية من نشر الوعي وتثقيف الناس على المبادئ والقيم ونُظم الشريعة والأخلاق العامة ولذا صارت المجتمعات أوعية فارغة وحواضن تستقبل الأفكار والسلوكيات الشاذة والمنحرفة والتي تعتمد لُغة المصالح ومنطق الغاب من الخيانة والحيلة والخديعة والمؤامرة والغَلَبَة بوسيلتي الترغيب أو الترهيب حتى وجدت أزمة أخلاقية وأزمة ثقة وترسخت واستحكمت في العلاقات الانسانية وظهرت آثارها واضحة على مختلف المستويات البشرية والطبقات المجتمعية والمؤسسات العامة بوجود المشاكل والصراعات والحروب ، ولذا قال الله تعالى[1]: ﴿ **تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ**﴾، أي يخون بعضكم بعضا .

وقد نهى الله تعالى أن يُدافع الناس عن الذين يختانون أنفسهم أي يخونونها بالمعصية، فجعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم ، فهؤلاء الذين يَسْتَخْفُونَ من الناس ويُضَلِّلوهم ويَغشُّوهم ويستترون منهم حياء وخوفا ولكن أين هؤلاء من الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء فهو مطلع على خيانتهم ، وإذا وجدوا في الدنيا مَن يُدافع عنهم ولكنه في يوم القيامة مَن سيدافع عنهم ؟ ،

---

[1] - البقرة /١٨٧ .

إذن ينبغي حفاظا على المجتمع من الفساد والانحراف وضياع الحقوق أن لا يُدافعوا عن الخائنين في الأقوال والقضاء وقد قال تعالى [١]: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ❖ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ❖ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ .

وأمّا قوله تعالى[٢] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وهذه الآية الكريمة في قوله تعالى : "لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم" هي نهي واحد يتعلق بنوع خيانة هي خيانة أمانة الله و رسوله و هي بعينها خيانة لأمانة المؤمنين أنفسهم كما قال السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان عند تفسير هذه الآية ، فإن من الأمانة ما هي أمانة الله سبحانه عند الناس كأحكامه المشرعة من عنده و منها ما هي أمانة الرسول كسيرته الحسنة، و منها ما هي أمانة الناس بعضهم عند بعض كالأمانات من أموالهم أو أسرارهم، و منها ما يشترك فيه الله و رسوله و المؤمنون، و هي الأمور التي أمر بها الله سبحانه و أجراها الرسول و ينتفع بها الناس و يقوم بها صلب مجتمعهم كالأسرار السياسية و المقاصد الحربية التي تضيع بإفشائها آمال الدين و تضل بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية فيبطل به حق الله و رسوله و يعود ضرره إلى عامة المؤمنين.

فهذا النوع من الأمانة خيانته خيانة لله و رسوله و للمؤمنين ، فالخائن بهذه

---

[١] - النساء / ١٠٧- ١٠٩ .

[٢] - الأنفال/ ٢٧ .

الخيانة من المؤمنين يخون الله و الرسول و هو يعلم أن هذه الأمانة التي يخونها أمانة لنفسه و لسائر إخوانه المؤمنين و هو يخون أمانة نفسه، و لن يقدم عاقل على الخيانة لأمانة نفسه فإن الإنسان بعقله الموهوب له يدرك قبح الخيانة للأمانة فكيف يخون أمانة نفسه.

فالمراد بقوله: "و تخونوا أماناتكم و أنتم تعلمون" - و الله أعلم - و تخونوا في ضمن خيانة الله و الرسول أماناتكم و الحال أنكم تعلمون أنها أمانات أنفسكم و تخونونها، و أي عاقل يقدم على خيانة أمانة نفسه و الإضرار بما لا يعود إلا إلى شخصه فتذييل النهي بقوله: "و أنتم تعلمون" لتهييج العصبية الحقة و إثارة قضاء الفطرة لا لبيان شرط من شرائط التكليف.

فكأن بعض أفراد المسلمين كان يفشي أمورا من عزائم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المكتومة من المشركين أو يخبرهم ببعض أسراره فسماه الله تعالى خيانة و نهى عنه، و عدها خيانة لله و الرسول و المؤمنين.

وأمَّا قوله تعالى[1] : **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾**.

ومعنى الآية الكريمة أنَّه إذا وقعت هدنة ومعاهدة مع قوم وقد علمت منهم بعد ذلك أنَّهم نقضوا العهد معك ، فلا تسبقهم وتوقع بهم العقاب على خيانتهم للعهد حتى تعلمهم أنك أيضاً نقضت العهد معهم كما نقضوا عهدهم معك ، وبالتالي يكون الطرفان قد علما بنقض العهد ويكونوا على حدٍّ سواء في العلم بنقض العهد ، وحينئذٍ لك الحق بأن توقع بهم العقاب من دون أن يوضف عقابك لهم بالخيانة .

---

[1] - الأنفال/٥٨ .

ومن هنا يتضح قوله تعالى :**(فانبذ إليهم)** أي : فاطرح إليهم العهد ، **(على سواء)** أي : على طريق مقتصد أي مستو، وذلك بأن تخبرهم بنبذ العهد إخبارا ظاهرا مكشوفا، وتبين لهم أنك قطعت ما بينك وبينهم ، ولا تبدأهم بالقتال في حال أنهم يتوهمون التزامك ببقاء العهد معهم لكي لا يكون ذلك خيانة، فيكون معنى : **(فانبذ إليهم)** من الانباذ وهي بمعنى التبليغ أو الإعلام أو الرّد أي : ردّ عليهم عهودهم وأعلن عن إلغائها جهراً لكي لا يتصوروا بقائها من طرفك وبذلك يستوي علمك بنقض العهد مع علمهم وفعلهم لهذا النقض الذي بدأوا به أولاً ، ولا تبدأهم بقتال قبل إبلاغهم بالنقض من طرفك أيضاً لكي لا يكون ذلك خيانة .

وفي لسان العرب[1] : فمن صدق بقلبه بما أظهره لسانه فقد أدى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، ومن كان قلبه على خلاف ما أظهر بلسانه فقد حمل وزر الخيانة والله حسبه، وإنما قيل للمصدق مؤمن وقد آمن لأنه دخل في حد الأمانة التي ائتمنه الله عليها .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال[2] : **﴿يُجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب﴾**.

فإذا خان الإنسان الأمانة سواء كانت مادية أو معنوية فيكشف عن كونه ليس مؤمناً ، وبالتالي فإنّه يكون مصدراً من مصادر الإضرار بالمجتمع والترويج لعمل القبيح والاستخفاف بالإنسان وحقوقه ، ولذا لابد أن لا يُمَكّن الخائن من التسلط على حاكمية الأمة وأموال الناس ومعاملاتهم وأسرار حياتهم بمختلف مجالاتها ، وقد بَيّن النبي (صلى الله عليه وآله) علامة الخائن وحدّدها في

---

[1] – لسان العرب لابن منظور : ص٢٩٤ ج ١٢ .

[2] – الاختصاص للشيخ المفيد (قدس سره) : ص ٢٣١ .

أربعة وهي[١] : ﴿عصيان الرحمن وأذى الجيران وبغض الأقران والقرب إلى الطغيان﴾ .

وفي وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر [٢]: ﴿يا أبا ذر، المجالس بالأمانة، و إفشاؤك سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك ﴾.

و قال أمير المؤمنين (عليه السلام)[٣] : ﴿غاية الخيانة خيانة الخِل الودود ونقض العهود﴾.

والنصوص الشرعية والحَكَمِيَة بشأن الخائن والخيانة كثيرة نذكر منها :

ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) [٤]: ﴿غش الصديق و الغدر بالموائيق من خيانة العهد﴾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) [٥]: ﴿أعظم الخيانة خيانة الأئمة﴾ .

وقال أمير المؤمنين(عليه السلام) [٦]: ﴿لا تخن من ائتمنك و إن خانك و لا تشن عدوك و إن شانك﴾ .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) [٧]:﴿طلب التعاون على نصرة الباطل جناية و خيانة﴾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) [٨]: ﴿من عمل بالخيانة فقد ظلم الأمانة﴾ .

---

١ - تحف العقول لابن شعبة الحراني : ص٢٠ .

٢ - الأمالي للشيخ الطوسي ج٢ ص١١٤ .

٣ - عيون الحكم والمواعظ لليثي الواسطي : ص٣٤٩ .

٤ - غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٨٥ ، رقم ٩٥٩٩.

٥ - غرر الحكم ودرر الكلم ص٣١٤ رقم ١٠٥٣٠ .

٦ - غرر الحكم ودرر الكلم ص٣١٤ رقم ١٠٥٣٥ .

٧ - غرر الحكم ودرر الكلم ص٣١٤ رقم ١٠٥٣١ .

٨ - غرر الحكم ودرر الكلم ص٣١٤ رقم ١٠٥٣٣ .

ولأجل توسيع الفائدة وبيان خصوصيات وعلامات أوسع لفئات مختلفة من الناس نذكر علامات لأصناف كثيرة منهم بَيَّنها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقد اخترنا منها قوله (صلى الله عليه وآله)[1]: ﴿ أما علامة الصادق فأربعة : يصدق في قوله ويصدق وعد الله ووعيده ويوفي بالعهد ويجتنب الغدر. وأما علامة المؤمن : فإنه يرأف ويفهم ويستحيي .... وأما علامة الصالح فأربعة: يصفي قلبه، ويصلح عمله، ويصلح كسبه ويصلح أموره كلها. وأما علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق. ويعطي الحق من نفسه. ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه. ولا يعتدي على أحد .... وأما علامة المخلص فأربعة : يسلم قلبه وتسلم جوارحه، وبذل خيره، و كف شره ..... وأما علامة البار فعشرة : يحب في الله. ويبغض في الله. ويصاحب في الله. و يفارق في الله. ويغضب في الله. ويرضى في الله. ويعمل لله. ويطلب إليه. ويخشع لله، خائفا، مخوفا، طاهرا، مخلصا، مستحييا، مراقبا. ويحسن في الله .... ، وأما علامة المرائي فأربعة : يحرص في العمل إذا كان عنده أحد ويكسل إذا كان وحده. ويحرص في كل أمره على المحمدة ويحسن سمته بجهده . وأما علامة المنافق فأربعة : فاجر دخله يخالف لسانه قلبه. وقوله فعله و سريرته علانيته، فويل للمنافق من النار .... وأما علامة الكذاب فأربعة : إن قال لم يصدق، وإن قيل له لم يصدق، و النميمة والبهت .... وأما علامة الخائن فأربعة : عصيان الرحمن وأذى الجيران وبغض الأقران والقرب إلى الطغيان ﴾.

---

[1] - تحف العقول للحرّاني: ص٢٠ .

أصناف العلاقات بين الناس

نصّت السُنّة المُطهرة في موارد كثيرة على أصناف العلاقات بين الناس بما لا يخرج عنها العلاقات داخل مجتمع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قطعاً بما هو معروف من سيرتهم المذكورة في القرآن والسُنّة والحوادث التاريخية الثابتة ، ولا ينكر هذا الواقع إلا الغلاة والمُضلّلون وأرباب الدوافع السياسية الضيّقة ، ويكفي لذلك معرفة سلوكيات الصحابة التي هي ليست بمرتبة وصفة واحدة بل هي مختلفة في جهة إيمانهم وولائهم وأفعالهم وأقوالهم وخاتمتهم فيتعدد لذلك أصنافهم لأنهم ليسوا بمعصومين كما أنّ مجرد صُحبتهم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تمنحهم تزكية وعدالة وغفراناً وجنة كما هو معلوم قطعاً بمنطق الأدلة النقلية والعقلية فراجع[1] ما ذكرناه بهذا الشأن ، ولذا فصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) داخلون في دائرة أصناف العلاقات بين الناس كما هو إطلاق الروايات الكثيرة ، منها :

ما روي عن أبي مريم الأنصاري عن أبي جعفر (عليه السلام) قال[2] : ﴿ **قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الإخوان، فقال: الأخوان صنفان : أخوان الثقة وأخوان المكاشرة، فأما أخوان الثقة فهم الكف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه، واكتم سره**

---

[1] - راجع كتابنا : جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة .

[2] - أصول الكافي للشيخ الكليني : ج٢ ص١٩٣ .

وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل إنهم أقل من الكبريت الأحمر، وأما أخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم ، ولا تطلبن ما وراء ذلك عن ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان﴾ .

ومن هنا ينبغي أن نفهم أنَّ أخوان المكاشرة هم ليسوا بأعداء ولكنهم من سائر الناس ممن لا يملكون خصوصية الصداقة الصدوقة ولا يُقاسون بها في الالتزام والمسؤولية والمعاملة ولا تُباح لهم الأسرار والخصوصيات فيتعامل معهم في الإطار العام من العلاقات فيُبذل لهم ما بذلوا من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان والتبسُم وهو المُعبَّر عنه بالمكاشرة من كشف الأنياب حين التبسم ، فهو أخ لك ولكنه ليس بصديق .

وروي عن الإمام العسكري (عليه السلام) أنه قال[1] : **﴿والناس على طبقات : المستبصر على سبيل نجاة ، متمسك بالحق ، متعلق بفرع الأصل ، غير شاك ولا مرتاب، لا يجد عني ملجأ. وطبقة لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه ويسكن عند سكونه. وطبقة استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرد على أهل الحق ودفع الحق بالباطل حسدا من عند أنفسهم. فدع من ذهب يمينا وشمالا، فإن الراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون سعي. وإياك والإذاعة وطلب الرئاسة، فإنهما يدعوان إلى الهلكة﴾** .

---

[1]- تحف العقول لابن شعبة الحراني : ص٤٨٦ .

حدود الصداقة

وقد روي عن أهل البيت (عليهم السلام) روايات عدة تُبيِّن فيها حدود الصداقة ، وقد اخترنا منها ما روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) لتكون محور حديثنا لما فيها من الوضوح والشمول مع ذكر بعض الروايات في آخر المبحث .

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال[1] : ﴿**لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة ، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة، فأولها : أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال، والرابعة: أن لا يمنعك شيئا تناله مقدرته، والخامسة : وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات**﴾.

وهذه الرواية عظيمة في بنودها وبيانها لحدود الصداقة وحقوق الأصدقاء، ولأهميتها فهي تستحق وبشكل منفصل أن تُشرح النقاط العظيمة فيها ولكننا نتعامل معها بما يتناسب وحجم بحثنا ، ولو أنَّ الناس يُراعوا هذه الحدود والحقوق لكان الأفراد والمجتمعات والشعوب والدول تعيش في صداقات حقيقية وحُب وتلاحم وانسجام وقوَّة وسلام وتقدم وازدهار ، ومن هنا نُدرك أهمية مراعاة حدود وضوابط الصداقة ، ومن خلال هذه الرواية وأمثالها يستطيع كل إنسان أن يُحدّد طبيعة ونوعية علاقته مع الآخرين ، فإمّا أن يكون

---

[1]- الكافي : ٢/٤٦٧ ، مصادقة الأخوان : ٣٠ .

صديقاً أو أخاً كاشراً أو عدواً ، وبهذا يستطيع كل إنسان أن يُقيّم نفسه ويعرف حجمه ويوزن عمله و يضع نفسه في الجهة التي تُناسب مسلكيته لأنْ فكره ومنهجه وتطبيقاته تفرض عليه ذلك الموضع وفق منهج الحق والعدل ، وينبغي عليه إذا كان عاقلاً ومؤمنا أن يُحاسب نفسه قبل أن يُحاسَب في الدنيا والآخرة فيكون قد نجا من فتنة الشيطان وتخلّص من المسؤولية الشرعية واستقر في حياته .

ولكن للأسف الشديد أنَّ غالبية الناس يتبعون الشيطان في تصرفاتهم الباطلة ولا يلتزموا بمراعاة الحقوق بل يعتدي أحدهم على حقوق الآخر سواء كانت مادية أو معنوية ويكذب أحدهم على الآخر ويخون أحدهم الآخر ويتآمر بعضهم على الآخر ويتغير بعضهم على الآخر وينقلب بمجرد حصوله على منصب أو مال كما لا يهتم لقضية الدفاع عن صديقه أمام الظالمين والمنافقين وغير ذلك فتحدث الانشقاقات والنزاعات والخصومات والفتن والعداوات والحروب والدمار .

بيان الحدود الخمسة في الرواية بما يلي :

الحد الأول :

ذكرت الرواية أنَّ من حدود الصداقة هو : ﴿**أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة**﴾.

ومعنى ذلك أن يكون الإنسان في علاقته صادقاً صدوقاً لا يُظهر لك خلاف ما يُبطن و لا يُخالف قوله عمله لأنَّ هذا الخلاف هو من فعل المنافقين والمتلونين الذين لا يستقرون مع أحد ولا يصدقون في الرأي والمشورة

والنصيحة والخبر والعلاقة و... ، وإذا فُقِدَ الشرط الأول من الرواية فإنّه لا يُمكن أن تنعقد صداقة لأنّه الخطوة الأولى لعقد الصداقة الذي لا يصح تخطيه وتجاوزه ، وتُعرف هذه الصفة في الإنسان سلباً أو إيجاباً من خلال كثرة مجالسته ومخالطته ومعاشرته في سفر أو حضر أو باشتهار وشيوع حاله لدى عموم الناس أو ممن اختبره الثقاة الذين يملكون الخبرة والوعي وقد تيقنوا اتصافه بهذه الصفة السلبية أو الإيجابية ، وعلى ضوء التزام الإنسان بالشرط الأول أو عدم التزامه يتحدد الموقف من صداقته أو عدمها .

الحَدّ الثاني :

ذكرت الرواية قوله (عليه السلام) :﴿**أن يرى زينك زينه وشينك شينه**﴾ .

وهذا مصداق أن تُحبَّ لأخيك ما تُحبّه لنفسك وتكره لأخيك ما تكرهه لنفسك ، وأن تفرح لفرحه وتحزن لحزنه.. وإذا زانه شيء يرى ذلك زينه وإذا شانه شيء يرى ذلك شينه ، وهذا مصداق ما ورد من مضامين حديثية وهي : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ، ويرى نفسه في أخيه المؤمن ، منها قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [1]: ﴿**لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه**﴾.

وقد روي أنّه جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال [2]: ﴿**إني سائلك عما في الدنيا والآخرة فقال له : سل عما بدا لك ، قال : أحب أن يستر الله على عيوبي قال : استر عيوب إخوانك يستر الله عليك عيوبك**﴾.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[3]: ﴿**لا تتبعوا عورات المؤمنين، فإنه من تتبع عورات**

---

[1]- بحار الأنوار للشيخ المجلسي : ج٧١ ص١٩٨ .

[2] - كنز العمال للمتقي الهندي : ج١٦ ص١٧١ باب خطب النبي ومواعظه رقم الحديث ٤٤١٥٤ .

[3] - الأمالي للشيخ المفيد (بتصرف) ص١٤١ / المجلس السابع عشر / حديث رقم ٨ .

المؤمنين تتبع اللّه عورته، ومن تتبع اللّه عورته فضحه ولو في جوف بيته﴾ .

الحدّ الثالث :

ذكرت الرواية قوله (عليه السلام): **﴿أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال﴾** .

وهذا الحَدّ من الشرائط النادرة الحصول لأنّه بحسب الشيوع بين شعوب العالم وبحسب التجربة أنّ الإنسان إذا نال ولاية حكومية أو أصبح من الأثرياء أو شغل منصباً أو وجاهة اجتماعية فإنّه بمجرد ما يشعر بالاستقرار يُصاب بالعُجُب والغرور والترفع وكأنّه اكتسب هذا المنصب بنفسه من دون رعاية الناس له فيبحث عن طرق للتمرد والعصيان ليعيش مستقلاً وبعيداً عمّن تفضل عليه ورفع من شأنه ودعم موقفه وحسّن من صورته دعائياً ليصل إلى هذا المنصب وهذه الوجاهة ، ولذا تجده يتغير وتنقلب تعاملاته حتى تصل إلى مرتبة التنكر والانقطاع بل التجاوز والعياذ بالله ، وهذا واقع شائع في مجتمعاتنا للأسف الشديد وخصوصاً عند الطبقة السياسية وطبقة الأثرياء وطبقة الوجهاء ممن يكشف ويفضح نفسه بأنّه ليس مؤمناً ولا ملتزماً بعهود ومواثيق ولا صداقة بل المصلحة الشخصية هي الغالبة في علاقاته ، وحيثما تكون مصلحته يُخطط لبناء علاقات على ضوئها وما أن تنتهي مصلحته فإنّه سرعان ما ينقلب وتتلاشى تلك العلاقة ، ولم يكن هذا الواقع منقطع الجذور بل جذوره ممتدة بقدم التأريخ ولكن نذكر ما هو أقرب لنا مما هو حاصل وثابت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من تنافس الصحابة بعده على الخلافة ومن ثمّ على الأموال ونازعوا الأمر أهله وحصلت الأثرة وجاء أمراء السوء و...، وحدثت نتيجة انقلابهم وطمعهم انشقاقات وأحزاب وفتن وردة وحروب .

و كان من موارد ذلك ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال[١] : ﴿**لا تسم الرجل صديقا سمة معروفة حتى تختبره بثلاث: تغضبه فتنظر غضبه يخرجه من الحق إلى الباطل ؟ وعند الدينار والدرهم ، وحتى تسافر معه**﴾.

وأيضاً ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله[٢] : ﴿**لا يعرف الناس إلا بالاختبار، فاختبر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فاقتك، وذا التودد والملق عند عطلتك لتعلم بذلك منزلتك عندهم**﴾.

الحَدّ الرابع :

ذكرت الرواية قوله (عليه السلام) :﴿**أن لا يمنعك شيئا تناله مقدرته**﴾.

فالصديق الصدوق لا يمنع صديقه مما يقدر عليه في قضاء حوائجه من وجاهة أو مال أو ردّ عدوان وما إلى ذلك ، ومما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) في الصديق[٣] : ﴿**فأما أخوان الثقة فهم الكف والجناح والأهل والمال ، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه ، وعاد من عاداه ، واكتم سره وعيبه ، وأظهر منه الحسن ، واعلم أيها السائل إنهم أقل من الكبريت الأحمر**﴾ .

وفعلاً فهُم أقل من الكبريت الأحمر لندرتهم.

---

١ - بحار الأنوار : ج٧١ ص١٨٠ .

٢ الأنوار : ج٧٥ ص١٠ .

٣ أصول الكافي للشيخ الكليني : ج٢ ص١٩٣ .

الحدّ الخامس :

ذكرت الرواية قوله (عليه السلام): **﴿وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات﴾**.

النكبة بالفتح المصيبة ، وهي الحوادث العظيمة التي يتعرض لها الإنسان ، وفي هذا الحال ينبغي لذوي العلاقة أن لا يُسْلِم أي يخذل صديقه في نوائب الدهر ومصائب المحن وأن لا يُعرضه للخسارة والهلكة تأخذ منه مأخذها بل يقف إلى جنبه لإنقاذه وتقويته ونصرته فيكون معه كالبنيان المرصوص يشدُ بعضه بعضا .

وقد قال الإمام علي (عليه السلام)[1] : **﴿لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته و غيبته ووفاته﴾**.

وكما أنَّ الصديق لا يُسْلِم صديقه عند النكبات ولا يخذله ولا يتغير عليه ولا يمنعه مما يقدر عليه ولا يُظهر له خلاف ما يُبطن كذلك من حق الصديق أن يحفظ صديقه في غيبته ووفاته إضافة إلى أن لا يتخذ الصديق عدو صديقه صديقاً له فيجرح مشاعر صديقه ويُغيظه ويُضعف موقفه ويؤدي إلى بناء علاقات مشبوهة ومتزلزلة مما يُربك الوضع الاجتماعي في بناء العلاقات فتُنزع الثقة بين الناس وتتخلخل أواصر بناء مجتمع قوي ، وهذا في جملة ما أشارت إليه نصوص المعصومين (عليهم السلام) في هذا الباب ، ومنها ما قاله الإمام (عليه السلام) : [2]**﴿لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك﴾** .

---

[1] ـ نهج البلاغة/ قصار الحكم ، الرقم: ٤٤٩ص٤٦٢ شرح محمد عبده.

[2] ـ تحف العقول عن آل الرسول(صلى الله عليه وآله) لابن شعبة الحرّاني : ص٨١ .

وكان مما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال[١] : **﴿انظر إلى كل من لا يفيدك منفعة في دينك فلا تعتدن به، ولا ترغبن في صحبته، فان كل ما سوى الله تبارك وتعالى مضمحل وخيم عاقبته﴾** .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)[٢] : **﴿من دعاك إلى الدار الباقية وأعانك على العمل لها فهو الصديق الشفيق﴾** .

وبمجموع ما ذكرنا يُصنَّف الناس بعضهم إلى بعض بثلاثة أصناف وهُم : **أخٌ وصديق وعدو.**

وربما تكون الأخوة بمعناها العام كالأخوة بين البشر في الإنسانية مع اختلاف أديانهم وهو ما عبَّر عنهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنظير في الخلق بلحاظ كونهم ضمن رعية الحاكم كقوله (عليه السلام) [٣] : الناس **﴿صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق﴾**، وكالأخوة بين أبناء الدين الواحد باعتبارهم أخوان في الدين كالأخوة في الإسلام مثلاً والتي هي مراتب وأعلاها الأخوة الإيمانية لقوله تعالى[٤] : **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** ، وهذا ما عبَّر عنه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) بمقولته الحَكَمِيَة [٥]:**﴿رُبَّ أخٍ لم تلده أمك﴾**. وقول الإمام الصادق (عليه السلام)[٦] : **﴿المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدةً فيخلفه﴾**. وبهذا وغيره يتبيَّن واقع كل من العدو والصديق وموقعهما.

---

١ - بحار الأنوار : ج٧١ ص١٩١ .

٢ - عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي : ص٤٣٧ .

٣ - تحف العقول للحراني : ص ١٢٧ .

٤ - الرعد/ ١٠ .

٥ - كتاب عيون الحكم والمواعظ للواسطي : ص ٢٦٧ .

٦ - بحار الأنوار للمجلسي : ج٧١ ص ٢٦٨ حديث ٧ .

ولكل من هذه العلاقات المُصنَّفة المذكورة استحقاقات في التعامل بحسب الوظيفة الشرعية وبحسب ما يُدركه العقل السليم فيجب على العاقل المُنصف والمتقي مراعاتها لكي لا تختلط الأمور وتضيع الحقوق والاعتبارات فتؤثر على مصداقيته ووعيه كما وتؤثر على واقع المجتمعات والشعوب باتجاه سلبي يُمكّن السُفهاء والطُغاة والمنافقين والخائنين من التسلط على مقدرات الناس ومصالحهم وعلاقاتهم والعبث بها وفق نزعات شيطانية مقيتة والعياذ بالله تعالى .

ويُمكن أن نختم هذا المطلب وهو حدود الصداقة بما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) كما عن المعلى بن خنيس قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) [1]: **ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال : سبعة حقوق واجبات ما فيها حق إلا وهو واجب عليه وإن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته ولم يكن لله عزو جل فيه نصيب. قال : قلت : جعلت فداك حدثني ما هي؟ قال (عليه السلام) : ويحك يا مُعَلّى إني شفيق عليك أخشى أن تضيع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل، قلت : لا قوة إلا بالله ، قال (عليه السلام) : أيسر منها : أن تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني : أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله ، والحق الثالث : أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك. والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه. والحق الخامس : أن لا تشبع ويجوع ، ولا تلبس ويعرى ، ولا تروي ويظمأ. والحق السادس : إن يكون لك امرأة وخادم وليس لاخيك امرأة ولا خادم أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه ، وتمهد فراشه ، فإنّ ذلك كله إنما جعل بينك**

---

[1] ـ الخصال للشيخ الصدوق ص ٣٥٠/ باب السبعة / حديث رقم ٢٦ .

وبينه ، والحق السابع : أن تبر قسمه ، وتجيب دعوته ، وتشهد جنازته ، وتعوده في مرضه ، وتشخص بدنك في قضاء حاجته ، ولا تحوجه إلى أن يسألك ولكن تبادر إلى قضاء حوائجه ، فإذا فعلت ذلك به وصلت ولايتك بولايته وولايته بولاية الله عزوجل.

ومن وصية الإمام الحسن (عليه السلام) لجنادة قال له [1]: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا، وإذا أردت عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله الى عز طاعة الله عزوجل، وإذا نازعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة فاتك ، وان قلت صدق قولك، وان صلت شد صولك، وان مددت يدك بفضل جدها ، وان بدت منك ثلمة سدها، وان رأى منك حسنة عدّها، وان سألته اعطاك، وان سكت عنه ابتداك، وان نزلت بك احد الملمات آساك، من لا يأتيك منه البوائق ولا يختلف عليك منه الطوالق (الطرائق) ولا يخذلك عند الحقائق، وان تنازعتما نفسا آثرك.

---

[1] - كفاية الأثر لعلي الخزاز القمّي الرازي ص ٢٢٧ .

الأصدقاء ثلاثة والأعداء ثلاثة

ينبغي أن تتحدّد الصداقة الصحيحة على ضوء الحق والعدل والفضيلة بين عامّة الناس لكي ترتسم معالم الصداقة بوضوح من دون وجود مقاصد مصلحية وأساليب نفاقيه ودعوات شيطانية ، ولا يكون الصاحب صديقاً حتى يلتزم به التزام موالاة ولا تحصل موالاة حقيقية حتى تقترن بإعلان البراءة من الأعداء الظالمين والمحاربين لأنه لا صداقة بين الظالم والمظلوم وذوي المقاصد المصلحية والانتماءات والولاءات المتناقضة لفقدان العناصر الموضوعية المشتركة التي تجمعهم كالحُب في الله والبغض في الله والعطاء في الله والمنع في الله والموالاة لأولياء الله والبراءة من أعدائهم لتستوعب جميع مفاصل الحياة وفق معادلة حقيقية عادلة يخضع لها المؤمنون المتقون المتناصحون ، وكان من جملة ما بيّنه الإمام زين العابدين (عليه السلام) حينما استعمل كلمة الصاحب في رسالته الحقوقية وأراد منها الصديق لبيان حقّه من أجل أن يحفظ الناس صداقاتهم فيقول (عليه السلام) في رسالته [1] : **﴿وأمّا حقُّ الصاحب فأنْ تصحبَه بالفضلِ ما وجدتَ إليه سبيلا وإلاّ فلا أقل من الإنصاف وأن تكرمه كما يُكرمك وتحفظَه كما يحفظك فإنْ سبقك كافأتَه ولا تقصرْ به عما يستحقُ من المودةِ ، تلزم نفسك نصيحتَه وحياطته ومعاضَدته على طاعة ربّه ومعونته على نفسه فيما لا يهمّ به من معصية ربّه ثمّ تكونُ عليه رحمةً و لا تكون عليه عذاباً ولا قوّة إلاّ**

---

[1] ـ رسالة الحقوق للإمام زين العابدين / بند (حق الصاحب).

بالله ﴾.

والصاحب هنا الوفي المُلتزم الذي يستحق المودة والنصيحة والحياطة بالخير والمعاضدة على طاعة الله تعالى وأن تكون له رحمة ، فيُراد من الصاحب هنا هو الصديق الصدوق الذي تلتزم معه بحدود الصداقة ويلتزم معك بها ولذا ينبغي أن تصحبه وفق ما أملاه الإمام زين العابدين (عليه السلام) وسائر المعصومين (عليهم السلام) كما سيتضح ذلك من خلال وصاياهم في ثنايا الكتاب وبالأخص ما روي في ﴿حدود الصداقة﴾ عن الإمام الصادق (عليه السلام) كما ذكرنا فراجع .

وهنا لابد أن تُحدّد تصرفات الناس فيما بينهم على ضوء الفرز الشرعي والعقلائي في تشخيص الصديق والأخ الكاشر والعدو ليترتب على هذا التشخيص اتخاذ الموقف الشرعي الذي يُناسب كل واحد منهم ، ولذا كان من الحكمة والتبليغ التشريعي أن يُفَصِّل أهل البيت (عليهم السلام) في روايات متعددة هذه الأصناف في حياتنا الاجتماعية فيفرز بين الصديق والعدو ليتحدَّد الولاء أو النفرة وليتخذ الإنسان منهما موقف الانشراح والانفتاح في الحديث والمعاملة أو الانقباض والحذر ، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مقولته الحَكَمية حيث قال[1] : ﴿**أصدقاؤك ثلاثة ، وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك، وأعداؤك : عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك**﴾.

وهذه المقولة الحَكَمية تحصر الأصدقاء في ثلاثة والأعداء في ثلاثة ، حيث يكون الأول منهما وهو الصديق والعدو يُمثِّلان الأصل وبالتالي يتفرع عن

١- نهج البلاغة رقم ٦١٨ ص٤٩٠ شرح محمد عبده.

الصديق ما يُشكّل في واقع الأمر تجمعاً صالحاً يشتركون بالإيمان والعمل والعاقبة في الدُنيا والآخرة وهُم فئة خيِّرة يُمكن أن يُطلق عليها بالصداقة الخاصة أو ما يُصطلح على تجمعهم قرآنياً بـ (حزب الله) ، وفي مقابله يكون التجمع الضَّال الفاقد للإيمان أو المتزلزل فيه والمنحرف في عمله فإنَّه يُصطلح عليه قرآنياً بـ (حزب الشيطان) ، وقد علمنا بالدليل القطعي النقلي والعقلي أن محور الارتباط الأول الواقعي هو الله تعالى لأنَّ التجمعات الصالحة تُبنى على الحُب في الله والبُغض في الله والعطاء في الله والمنع في الله والولاء في الله والبراءة في الله وهكذا يصدق على الارتباط بالمعصومين من الأنبياء والأوصياء ، وأنَّ العدو الأول والأكبر للإنسان والمستجمع لكل الخطايا والقبائح والشرور هو الشيطان ومَن سار على منهجه ، ومن خلال هذين المحورين تنشأ الولاءات والانتماءات ويتشكل العدو والصديق للتنافر والتضاد والتناقض في الارتباط والمنهج والهدف .

فتكون العلاقة الصالحة هي التي تعتمد محور اتصالها بالله عزّ وجل الذي جعل للناس وسائل ارتباط به من خلال الأنبياء والأوصياء والأولياء وعن هذا الطريق تتفرع الصداقات وتتكاثر ، وأمَّا العلاقة الفاسدة هي التي تعتمد محور اتصالها بالشيطان الذي صار يُزيِّن للناس فعل القبائح والموبقات فيكون من يرتكب هذه الأمور تابعاً للشيطان من حيث يعلم أو لا يعلم وينشأ مع هؤلاء علاقات مبنية على التمرد والعصيان ، وبعد معرفة حدود الطريقين (المحورين) يتضح وجود التقاطع والتنافر وبالتالي يحصل الصدام والصراع بين الطرفين على مستوى الأفراد والجماعات والدول ، وقد نهى الله تعالى موالاة الكافرين والمنافقين والظالمين ، وبيَّن أنَّ المؤمنين بعضهم أولياء بعض وأنَّ الكافرين

والظالمين بعضهم أولياء بعض ، وصرّح الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه العزيز ما يؤكد هذا المعنى منها .

القرآن الكريم يُحَدِّد في آياته جهة الموالاة وجهة البراءة :

الموالاة والبراءة من السنن الاجتماعية القائمة في عالمنا ولذا ينبغي أن يتجه الإنسان في تحديد ولائه وبراءته وفق ضوابط وموازين شرعية وعقلية ترعى المصلحة العامة وتُؤمِّن للإنسان سلامته من الوقوع في الخطأ والخطيئة ليحفظ نفسه من العقوبة الاخروية ، وقد حدد لنا الخالق العظيم جهات التي ينبغي موالاتها والجهات التي ينبغي البراءة منها وهي كما في النقاط التالية .

أولاً : الشيطان عدوٌ للإنسان فرداً وجماعة منها :

١. قوله تعالى[١] :﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.

٢. قوله تعالى[٢]: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٣. قوله تعالى[٣] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

[١]- الإسراء/٥٣ .

[٢] - البقرة /١٦٩ .

[٣] - النور/٢١.

٤. قوله تعالى[١]: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ثانياً: بيان حزب الله وحزب الشيطان:

١. قوله تعالى[٢]: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ❖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ❖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٢. قوله تعالى[٣]: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

٣. قوله تعالى[٤]: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

---

١ - البقرة /٢٦٨.

٢ - المائدة/٥٥-٥٧.

٣ - المجادلة/٢٢.

٤ - المجادلة/١٩.

ثالثاً: المؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم أولياء بعض .

١. قوله تعالى[١] : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

٢. قوله تعالى[٢] : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

٣. قوله تعالى[٣] : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ❖ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ❖ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

٤. قوله تعالى[٤] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

رابعاً : القتال في سبيل الله والقتال في سبيل الطاغوت :

١. قوله تعالى[٥] : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

---

١ - التوبة/٧١ .

٢ - الأنفال/٧٣.

٣ - الجاثية/٢٠ .

٤ - المائدة/٥١ .

٥ - النساء/٧٦ .

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

٢. قوله تعالى[١] : ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ❖ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.**

وبناءاً على ما ذُكِر ينبغي أن تُبنى العلاقات وفق نظام عادل يحفظ الحقوق سواء كانت مادية أو معنوية ، ولا يكون ذلك إلا بالتعرف على حدود الصداقة والعداوة ليكون على دراية من أمره ومسلكه وحقيقة علاقاته ، ولذا قال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)[٢] : ﴿**..وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة أعانك ، وإنْ قُلْتَ صدَّق قولك وإنْ صلتَ شدَّ صولك وإن مددت يدك بفضل مدها ، وإن بدت عنك ثلمة سدَّها ، وإن رأى منك حسنة عدَّها ، وإن سألته أعطاك ، وإن سكت عنه ابتدأك وإن نزلت إحدى الملمات به سائك**﴾ .

ومقولة الإمام الحسن (عليه السلام) لا تخرج عمَّا بيَّناه في موضوع سابق وهو حدود الصداقة التي يسعى الأصدقاء فيما بينهم إلى التعاون على البِّر والتقوى ونشر الفضيلة وأن يبتعدوا عن المعصية والإساءة والرذيلة، وأن يكون أحدهما مرآة للآخر فيرى نفسه فيه كما وتحصل المواساة بينهما ويكون ولاء أحدهم للآخر مدعاة لدفع ورفع أيِّ ظلم وعدوان قد وقع أو يُمكن أن يقع على الآخر

---

[١] - البقرة /٢٥٦- ٢٥٧ .

[٢] - بحار الأنوار : ج٤٤ ص٣٩ .

سواء كان مادياً أو معنوياً ، فيتخذ الأصدقاء خطوات حركية نحو الأمام لإجراء ما يلزم شرعاً وعقلاً من أجل الدفع أو الرفع واسترجاع الحقوق المسلوبة أو ردّ الاعتبارات المعنوية و... وفرض إرادة الخير على الشر ، وهذا التصرف إنما يُمثل الوضع الطبيعي لحركة المؤمنين الصالحين الصادقين في مسيرتهم الذين يلتزمون المبادئ الحقة والقيم الصحيحة والأخلاق الفاضلة والشريعة الصالحة.

وأمّا لو كان الأصدقاء قادرين على المعونة والنُصرة بالحق إلا أنّهم لم يؤدّوا وظيفتهم أو تسامحوا في ذلك تقصيراً منهم طلباً للراحة والمصالح الخاصة فإنّ هذا مما يقدح في عدالتهم وصداقتهم بل قد يكشف هذا التصرف عن وجود خيانة أو تطبيع مع الأعداء بما يُشكّل حالة النفاق فيؤدي إلى إضعاف علاقة الأصدقاء أو تفكيكها وتضييع وتذويب الحقوق بما فيها الحقوق المادية والمعنوية ، ولذا لابد أن لا يتسلط المنافقون والخائنون والجبناء والبخلاء والحمقى والسفهاء والطغاة على مراكز القيادة والعلاقات وصنع القرار لأنّ الناس في الظاهر قد يحسبون لهؤلاء صداقة وتمثيلاً حقيقياً وصادقاً للجماعات والشعوب المظلومة والمستضعفة في جهة عملهم ومصالحهم فيقعوا في الوهم وبالتالي يصبح هؤلاء المنافقون أداة للتضليل والفساد وتضييع الحقوق وزيادة الظلم والاستضعاف لأنّهم يَغشُّون الناس من حيث يشعرون أو لا يشعرون ولا يُراعوا الحقوق الإنسانية والشرعية لقيامهم بالمراوغات والنفاق وفعل الخيانات ورفع الحواجز مع الخصوم الأعداء والتملق لهم فتوحي تصرفاتهم المشينة بأنّ أرباب الباطل ودعاة الشر ومُغتصبي الحقوق والمحتلين ممن لا بأس بهم ولا إشكال معهم بل ربما يزرع شبهة بين الجُهّال أنّ الأعداء المنافقين الدمويين على حق أو أنّ أرباب الحق قد تركوا حقهم وتنازلوا عنه أو يُظهر لهم أنهم

عاجزون وإلى غير ذلك من التصورات الكثيرة ، وهذا الفعل القبيح تتأكد فيه المَعونة على الباطل وإضعاف لجانب الحق الذي لا يصدر هذا العمل وأمثاله إلا عن عاقٍ أو خائن أو جبان أو منافق أو ...و يترتب على مواقفهم الغضب الإلهي وغضب شرفاء الناس في الدنيا والآخرة ، وبالرغم مما يفعله المرتدون فإنَّ الحقوق لا تضيع مهما تقادم عليها الزمان وما دام وراءها مطالب صادق لا يخون نفسه وأصدقائه وشعبه ، وقد قال أمير المؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة[1] : **﴿الحق جديد وإن طالت عليه الأيام والباطل مخذول وإن نصره أقوام﴾**.

وتجد أنَّ غالبية الأفراد والأحزاب والدول ممن يرتكبوا الخيانة والنفاق والردة والعدوان يُدركوا جيداً قبح عملهم وخزي ما نتج عنهم وحرمة تصرفاتهم ولكن تأخذهم العزَّة بالإثم حيث العصبية المقيتة والمصالح الشيطانية والكبرياء الفارغة والغرور عن جهل والعُجُب الكاذب بالنفس أو الكيان أو الدولة ومع ذلك يمتنعوا عن الإقرار بما فعلوه إصراراً منهم على تطبيق مقولة أكذب أكذب حتى يُصدِّقك الناس ، أو لا يروا فيما فعلوا بأساً بل ينظروا إلى مواقفهم وأحكامهم وازدواجية المعايير فيها على أنَّها من المواقف الطبيعية الصحيحة التي ترعى مصالحهم الخاصة ولذا تجدهم يستقبحوا ويُجرِّموا مَنْ يحكُم عليهم من المنظمات الحقوقية الإنسانية والدولية والشرعية والعرفية في نقد ممارساتهم ووصفها بالخطأ والخطيئة أو تقبيحها واستنكارها أو مواجهتها ، بل أنَّهم يُهاجمون بالسوء ويستعظمون قول النُقّاد فيهم ولا يُريدوا أن يُصرِّح الناس لهم بخطأ وجُرم عملهم ، وهذا إنما يحصل لأسباب كثيرة كما ذكرنا منها الاستكبار والنفاق والمصالح الشخصية والعصبية وطبيعتهم العدوانية

---

[1]- وسائل الشيعة للحر العاملي : ج١٧ ص ٣٤٥ حديث ٣ من ١٧ حكم من عطل أرضاً.

واعتمادهم المواقف الارتجالية المتهورة والمغامرات الصبيانية التي لا أساس لها في المواقف الإنسانية والعدالة والتي لم تُبنى على علاقات حقيقة عادلة راسخة ، وبالرغم من هذا الطغيان والاستكبار والظلم على صعيد الفرد أو الجماعة أو الحكومة أو الدولة إلا أنّه وللأسف الشديد تنمو في مجتمعاتنا جماعات ذليلة قد نشأت على النفعية والحسد والنفاق وتمجيد الظالمين إلى درجة استعدادهم للنزول إلى مستوى الدناءة والذلة بل وأكثر من ذلك أنّهم يستجدون الرضا وإبراء الذّمة من ظالميهم وقاهريهم فتنعكس وتنقلب المطالب الحقّة بين الظالم والمظلوم فيجعلوا للظالم الحق في أن يفعل ما يشاء حتى لو سلبهم حريتهم أو سرقهم أو ضربهم ، فبدَلاً من أن يعتذر الظالم للمظلوم ويطلب منه إبراء ذمته واسترضاءه نجد أنّ الأذلاء والخانعين والمنافقين يعكسوا المطلب من أجل المجاملة الرخيصة والذليلة والبحث في ذلك عن مصالحهم الضيّقة الناجمة عن طبيعة نفوسهم المريضة بمرض الذل والهوان والنفاق والجُبن و... ولمطابقتها لواقع تربيتهم التي نشئوا عليها منذ نعومة أظفارهم فيَجنُون على أنفسهم وعلى سائر المظلومين بهذه التصرفات ، فيُشكّل هؤلاء ظاهرة اجتماعية وسياسية سيئة ومنحرفة تؤثر سلباً على واقع الشعوب ويُصبحوا عِلّة مَرَضية على المجتمعات السليمة ، وحيثما يكونوا فإنّه لا يخرج منهم إلا ما اتصفوا به ، ولذا قد قيل :﴿**إنّ الإناء ينضح بما فيه**﴾ أو ما قيل:﴿**لكل امرئ من دهره ما تعودا**﴾ أو ما قيل :

إنّ الماء العذب يبقى عذباً والماء المالح يبقى مالحاً
وكلّ شيء يبقى على طبيعته إلى يوم النفخ بالصور

وللأسف تجد أنّ الجماعات النفعية والمنافقة على طول الزمان تملك الاستعداد للنزول إلى مستوى الدناءة والذلة لاستعمال المراوغة والكذب في

ادّعائها الصداقة لتحصيل مكاسبها الضيّقة ولكنها لا تملك الاستعداد للصعود إلى مستوى الرفعة والكرامة والعدالة والفضيلة وهذا يكشف عن فساد وانحراف هذه الجماعات ومرجع ذلك إلى سوء التربية وخبث السريرة وخفّة العقل وقلّة الدّين أو انعدامه ، ولو كانوا مؤمنين ويملكون رجاحة العقل والشجاعة وحُسن التربية والسريرة لَما فعلوا ذلك ، ثُمَّ إنَّ المؤمنين لو ارتكبوا خطأً عفوياً في حياتهم فإنَّهم لا يصرّوا عليه بل يتوبوا إلى الله تعالى ويعتذروا عن فعلهم القبيح ويندموا عليه وبالتالي يتعهدوا ألاّ يعودوا إليه وإلى مثله لأنَّهم يؤمنوا بأنَّ الاعتراف بالخطأ فضيلة وتصحيح الخطأ شجاعة ، بينما تجد المنافق والخائن وأمثالهما يصدر عنهم الخطأ والذنب وفعل القبيح عن عمد ولا يُبالون له ولا يهتمون لأجله جرأة منهم على النُظم العادلة فيستحقون لذلك العقوبة المناسبة إلا إذا تابوا إلى الله تعالى التوبة النصوح وتصالحوا مع الذات ثمَّ مع الآخرين بصدق وإخلاص وإن كان الغالب في الخائنين والمنافقين ممن ترسخت فيهم هاتين الصفتين وأشباهها أن لا يتوفقوا إلى التوبة لاستمكان وترسخ تلك الصفات الخبيثة الشيطانية من نفوسهما وبالتالي فبقاءهم على صفاتهم يجعلهم منبوذين واقعاً من الأطراف المؤمنة الصادقة ولا يجتمع معهم ويُداهنهم ويُجاملهم على ما هُم عليه إلا مَنْ هو مثلهم أو أخسّ مرتبة منهم لكونهم يتوافقون معهم في الطباع والسيرة والغايات وكما قيل : **الطيور على أشكالها تقع** ، حيث أنَّهم لا يملكون التزاماً ولا مصداقية ولا أماناً ولا يلزمهم العهد ولا اليمين و...وبالنتيجة فكُل هؤلاء الأفراد والجماعات والدول إذا ما انفضحت أساليبهم النفاقية والخيانية فإنَّهم يسقطوا عن الاعتبار اجتماعياً وسياسياً و... في الدنيا وتثور وتنتفض الجماهير المؤمنة والمظلومة على هذا الواقع السيئ كما وتنالهم العقوبة الأخروية.

ومن هنا لابد لمجتمعاتنا الإسلامية على مستوى الدُعاة والجماهير من الشعور بالمسؤولية والقيام بالعمل الجماعي الواعي لرصد ومعالجة المواقف السيئة والعناصر الفاسدة بروح رسالية صادقة وهادفة مع اتخاذ الحذر وغلق الأبواب أمام ظاهرة تعدد وتكثر هؤلاء الأذلاء والخونة والمرتزقة وتنامي قدراتهم في جهة الشَر والظلم لأنَه بهم وبأمثالهم من ضعاف العقول والنفوس والسفهاء والطغاة تنشأ المجتمعات الضالّة والشعوب الفاسدة والدول والحكومات المستبدة الطاغية وتشيع بينهم القيم والأعراف والعادات الفاسدة والظالمة ، ولذا تجد الخائن أو المنافق أو الذليل في أي مستوى كان سواء على صعيد الفرد أو الجماعة والحزب أو الحكومة والدولة يتذرعوا بالأكاذيب لكل عمل قبيح يعملوه لتضليل الناس وتمرير مفاسدهم وأباطيلهم التي تتقاطع واقعاً مع المبادئ الحقَّة والقيم الأصيلة والشريعة الإلهية وبالتالي فإنَ مراوغاتهم لا تنتهي ولا تقف عند حَدٍّ بل تُستعمل مع الجميع لأنَّ طبيعة الأشرار لا يصدقون مع أحد ولا يُراعوا حق أحد وكان من جملة ما وصفهم الله تعالى به في قوله [1] : **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ❖ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** .

وتلحظ هؤلاء السفهاء والعناصر الفاسدة في مسيرتهم وخطوات عملهم لا يستشيروا أحداً من العقلاء والمتشرعين علماً أنَّ المشورة تدل على رجاحة العقل وقد أكد عليها القرآن الكريم والسُنَّة النبوية وحكماء العالم ومَن لا يُشاور العقلاء لا يُشاركهم في عقولهم وخصوصاً في موارد الشبهات والمواقف

---

[1]- البقرة / ١٤- ١٥ .

الحرجة والأعمال المجهولة فإنَّ هذا يكشف عن كونهم مستبدين جهلاء لا يهتموا لجانب العقل ولا يراعوا جانب الحقوق الإنسانية ولا يلتفتوا إلى أحكام الشريعة بل أنَّهم يعيشوا حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية و... بالمكر والخديعة والحيلة والهوى والذُلّ والمهانة وأنّ الغاية عندهم تُبَرِّر الوسيلة حيث يلتزمون بمصالحهم وأهدافهم الآنية الخاصة فقط و عصبياتهم الجاهلية ولا يُبالوا ولا يهتموا لحقوق الآخرين ومشاعرهم بل يستهينوا ويستخفوا بها وهذا للأسف الشديد يُستعمل كثيراً ضدً الأفراد والجماعات والشعوب من قبل أفراد وطوائف وأحزاب وحكومات ودول مستبدة طاغية ، فيتصور هذا المستبد الأحمق وهو يُراهن في مغامراته الصبيانية على غروره وحمقه وتهوره و عصبيته أنَّه عالِم بالأمور ومسيطر عليها ويتمتع بمزايا لا يملكها غيره وبالتالي يكون هو المذهب الحق والحزب الأوحد والفكر والمنهج الصحيح دون غيره ولذا لابد أن يكون هو الحاكم وأنَّه يُمثِّل القائد الضرورة بدل غيره كما فعل المقبور صدّام وأشباهه ، وهكذا يلتف حوله الجهلاء والأذلاء والمنافقون والنفعيون والجبناء بينما تنشأ في قباله الجماعة المقاومة للظلم والطُغيان وحينئذٍ يحدث الصراع والنزاع والقتال ، وإذا ما تغلب الظالم على خصمه بالغَلَبَة والترهيب والترغيب والحيلة ويتسلط على الناس من دون أن يكون له أهلية وشرف وفضل بل هو جاهل ويجهل أنَّه جاهل وهذا من الجهل المركب الذي يكون خطره أعظم على المجتمعات والشعوب وخصوصاً في مواقع القيادة والعلاقات والوجاهة مما قد يعمّ ويشيع الفساد وتُسفك الدماء وتُسلب الأموال وتُنتهك الأعراض وتضيع الحقوق في العالم بسببهم وهذا ما يحصل في عالمنا اليوم في الشرق والغرب من تسلط الجُهّال والسُفهاء والحمقى والطامعين والطُغاة على مقدرات الشعوب وعلى رأسهم الشيطان الأكبر أمريكا

وعملائهم والمتأثرين بثقافتهم المُزيَّفة والمستفيدين منها في مصالحهم الخاصة الذين يُصورون للناس حال سياساتهم وتصرفاتهم ومواقفهم على أنها نابعة عن حريتهم واستقلالهم والتي ترعى مصالحهم المشروعة وخصوصياتهم وقناعاتهم بينما نجد أنَّ هؤلاء لا يؤمنون بالصداقة والحقوق بمعناها الأخلاقي والشرعي لأنها بحسب ما يعتقدون تُعبِّر عن المُثل التي ليس لها واقع إلا في مخيلة المُغفلين والضُعفاء ، ولذا صار الطغاة يؤمنون بالمصالح ويُفسِّرونها بالصداقة مع أنَّها وقتية ومرحلية وتزول بزوال المصلحة بدليل تقلباتهم المستمرة وقولهم : ليس لنا صديق دائم ولا عدو دائم فحيثما توجد المصلحة فإنَّه توجد الصداقة ، فيتلاعبون بالمفاهيم والقيم والأخلاق فتضيع الحقوق عندهم ويصدر عنهم الغدر والسرقة والوجه القبيح وتقترب منهم بل تلتصق بهم بطانة وحاشية منافقة و مرتزقة نفعية وانتهازية ومجردة عن المبادئ والقيم الصحيحة لتبتلع حقوق الآخرين وتسلبهم الإرادة وتمتص دمائهم ويُفسِّرون تصرفاتهم على أنَّها حداثية وحضارية ومصالح وطنية ودفاع عن الديمقراطية وحريات الأفراد والشعوب ... !!!، وتبقى الجماهير المُستضعفة في عموم العالم تعيش الآلام والقهر والاضطهاد في سماعها الكذب والوعود الزائفة ورؤيتها للعمالة والخيانة والسرقة وضياع الحقوق وانعدام الخدمات وكثرة البطالة وتفشي المرض ونزول الناس في مستوياتهم المعيشية دون خط الفقر وتصاعد الضرائب المُجحفة وانتشار الفساد الإداري والمالي والسياسي والأمني والصحي والخدمي بينما الإعلام الموجه والمُسَيَّس لهذه الجماعات يُراوغ ويستعمل المفاهيم المغلوطة والمُزيفة في تعاملاتهم كالصداقة والحرية والديمقراطية والعدالة والمصالحة والسيادة والاستقلال والتحالف والشفافية واجتثاث المُفسدين والقانون واستقلال القضاء والانتخاب وتوزيع الأموال وما إلى ذلك

التي تخضع جميعها عندهم لمعايير وموازين مزدوجة ومطاطة يتجاذبها السياسيون في مساوماتهم وشراء الذمم يميناً وشمالاً وكذا باستعمالهم التهديد والوعيد والقوة المُفرطة لتحصيل مكاسب ومصالح ضيّقة .

هل يوجد إنسان أو عمل يوصف بالاستقلال ؟ .

ومن خلال ما ذكرنا يتبين أنَّ مسلكية الإنسان في أفعاله وتصرفاته لا يُوصف بأنَّ له استقلالية محضة من دون أن يُراعي أمراً ما أو جهة معينة لوقوع الأفعال تحت دائرة أحكام التكليف الإلهي فما وافق منها التشريع في النوايا والسلوك والأهداف فهو في جهة رحمانية وما خالف التشريع في هذه الأمور فهو في جهة شيطانية ، وحينئذٍ لا يخلو حال الإنسان إمّا أن يكون منتمياً إلى حزب الله تعالى في نواياه ومتبنياته وأفعاله وإمَّا إلى حزب الشيطان ، ثُمَّ لا تخرج عن حدود هذين العنوانين العامّين عناوين ضيِّقة أخرى تندرج تحتها من حيث حُسن استعمالها أو إساءة استعمالها كالوطن والطائفة والمذهب والمدرسة والمنظمة والحزب والمؤسسة والجمعية والعشيرة والأسرة والأخوة والصداقة لتُستَغَل هذه العناوين الضيِّقة إمَّا تحت عنوان حزب الله لمتابعته في ذلك لحدود الله تعالى وإمَّا لعنوان حزب الشيطان لمتابعته في ذلك بما يتصف به الشيطان ، وبمقتضى القوانين الوضعية والعرفية نجد أنَّ الإنسان يُراعي التزاماته التي ألزم نفسه بها في كل من هذه الانتماءات وبطبيعة الحال فإنَّه يعقد ولائه لجهة انتمائه في حين نجد أنَّ الشرع الشريف والعقل السليم يُحَدِّدُ ضوابطاً للالتزام والانتماء على مستوى الفرد والجماعة والحكومات والدول والتي ينبغي أن يكون ما التزموا به مشروعاً سواء كانت عهوداً أو عقوداً أو مواثيقاً أو أيمَاناً أو قوانيناً أو تطبيقات باعتبار أنَّ له فيها حقوقاً وعليه واجبات يجب الالتزام بها والحفاظ عليها وهي بمجملها تدخل في إطارها النظري كالفكر والمعتقد والقوانين والنصيحة والمشورة أو في الإطار العملي كالممارسة

الخارجية التطبيقية لما يؤمن به تبعاً لانتمائه وولائه وعهوده وقوانينه ويكون نتيجة ذلك هو صيرورته منتمياً إلى حزب الله تعالى إذا التزم وراعى المطلوب وفق نظام الشريعة وإلا فيكون انتمائه إلى حزب الشيطان .

وأمّا مَن يَدَّعي أنّه مستقلٌ استقلالاً تامّا في آرائه وتصرفاته وخارج عن جميع هذه الانتماءات الموجودة على الساحة العامة فهو يُخالف الوجدان وذلك لأنَّ النظريات والتطبيقات على اختلافها تكون منتزعة بعضها من بعض وتلتقي إمّا من خلال أحد مقدماتها وأسبابها أو من خلال تطبيقاتها ونتائجها ، كما أنَّ الأطروحات مهما اختلفت وتطورت إلا أنّها لا تخرج عن الجذور والأصول المتداولة بين الناس في إطار المعتقدات والقوانين الوضعية أو الشرعية ، ومهما حاول الإنسان أن يؤسس لنفسه نظاماً خاصاً به فهو لا يخرج عن دائرة الانتماء ولا يصح لذلك أن يوصف بالمستقل في جهة الفكر أو الممارسة ، وقد يسعى بعض الناس أو بعض الجهات المؤسساتية والحزبية والحكومية إلى تحقيق ما لم يُحققه الأنبياء والأوصياء باستعمال سياسة الحَمَل الوديع الذي يرغب في الجميع ويُريد أن يرغب فيه الجميع بالرغم من وجود التضاد والتناقض والتخالف في النوايا والفكر والصفات والسلوك ، ويتصور أنّه بهذا المنهج التصالحي مع الأضداد والمتناقضات والمتخالفات يستطيع أن يستوعب الجميع ، ولكنه ما إن يُخضع أطروحته للتطبيق فإنّه يؤكل من قبل السباع أو يضطر لأن يأكل غيره دفاعاً عن نفسه أو ينهزم شرَّ هزيمة وهو في كُل هذه الأحوال من حيث يشعر أو لا يشعر يعيش حالة الانتماء الخاص والذي لا يخرج قطعاً بالنتيجة عن الانتماء الفوقي أي إلى حزب الشيطان بحسب الواقع والوجدان لكونه يبحث عن مصالحه عند الجميع ولو كانت مع الشيطان ، فيكشف هذا التصرف عن التحلل عن المواقف الرسالية في جهة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف مع الحق والدفاع عن المظلوم ومقاومة الظالم ومراعاة الحقوق العامة والخاصة وفق العدل والإنصاف حيث أنه بتصالحه مع الجميع تضيع عنده حقوق الجميع ويتخلى عن التزاماته الشرعية والأخلاقية إن كان مؤمناً والتي يُفترض به إتباعها وفق الانتماء الشرعي والنظر العقلي الصحيح الذي يُراعي فيه حقوق الله تعالى والعباد ، بينما هو يعيش أوضاعاً وأحوالاً متناقضة وازدواجية في المعايير تبعاً لرؤيته القاصرة ومصالحه الشخصية الآنية وانفعالاته الوقتية فيقع في حبائل الشيطان ويخرج عن الاعتدال إلى الشذوذ ومن النظام إلى الفوضى ومن الطاعة إلى التمرد والعصيان ومن الحَسَن إلى القبيح ولا يصل في عمله إلى هدفه ومبتغاه من استيعاب جميع الناس لأنّه يجهل أنّ رضا الناس غاية لا تُدرك وإلاّ كان الأولى أن يحصل الرضا من جميع الناس على الله تعالى أو على أنبياءه أو على الأوصياء والعلماء الرساليين ولكنه لم يحصل فتأمل أيها الإنسان واستقم ، ولذا صنّف الله تعالى الناس في **الصداقة إلى صنفين** منها ما كانت بين المؤمنين حيث يكون بعضهم أولياء بعض لمحورية ارتباطهم في الله تعالى ورسوله الكريم كما في قوله تعالى:[1] ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، ومنها ما تكون الصداقة بين الكافرين والمنافقين والفاسقين حيث يكون بعضهم أولياء بعض كما في قوله تعالى : [2]﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾، وقد ذكرنا الآيات سابقاً فراجع .

---

[1]- التوبة/٧١ .

[2] - التوبة/٧٣ .

و من خلال ذلك نؤكد بأنّه لا يوجد ولاءٌ ثالث يجتمع فيه المؤمن مع الكافر أو المؤمن مع المنافق والفاسق ليكون بعضهم أولياء بعض ؟!!! ، بل ورد المنع عن ذلك في كثير من النصوص القطعية الثبوت والدلالة كما قوله تعالى [١] : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، بمعنى لا وجود لولاء ثالث بل يصبح الموالي للكافر مع الكافر ، وهذا الفرز الواضح من السُنن الثابتة كما أنَّ النصوص الكثيرة فيها تأكيد ووعيد إضافة إلى ما يُدركه العقل السليم من قبح الولاء للكافر والمنافق والفاسق لأنّهم من موارد غضب الله تعالى وهم من أهل النار ، ثُمَّ إنَّ الموالاة للمؤمنين يقتضي البراءة من أعدائهم ، ولذا لا يصح ولا يُقبل موالاة المؤمن والمنافق والكافر والظالم على حَدٍّ سواء بأن يُحب الجميع ويتودد إليهم ويُناصرهم وهذا التصرف هو عين النفاق والدجل في العلاقة وخروج عن واقع الدِّين والتدين ، وقد ورد في الكتاب والسُنَّة الكثير من النصوص بشأن ذلك منها :

١.قوله تعالى [٢] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ .

٢.قوله تعالى [٣]: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

٣.قوله تعالى[٤]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ

---

١ - المائدة/٥١.

٢ - النساء/١٤٤ .

٣ - المائدة/٥٧.

٤ - التوبة/٢٣.

استَحبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

٤.قوله تعالى[١] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾.

٥.قوله تعالى[٢] : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ .

٦.قوله تعالى[٣] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وأما ما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) فهو كثير منها :

١.عن أبي عبد الله (عليه السلام)قال[٤] : **﴿من أحب كافرا فقد أبغض الله ومن أبغض كافرا فقد أحب الله، ثم قال (عليه السلام): صديق عدو الله عدو الله﴾** .

٢.عن أبي محمد العسكري (عليه السلام) قال[٥] : **﴿حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار﴾** .

ولذا فإنَّ الفرز والتمييز القرآني يكشف على أن للولاء بين المؤمنين حقوقا وامتيازات خاصة لا تصل النوبة فيها إلى الكُفّار الأعداء بل ولا ينالها من هو دون المؤمنين الثقاة في المرتبة ولذا حصل التصنيف والفرز بين الصداقة التي

---

[١] - الممتحنة/١ .

[٢] - هود/١١٣.

[٣] - المائدة/٥١.

[٤] - بحار الأنوار : ج٦٦ ص٢٣٧ .

[٥] - بحار الأنوار : ج٦٦ ص٢٣٨ .

تعني الارتباط الوثيق بين أخوان الثقة ، وبين العلاقة القائمة مع أخوان المكاشرة - الصحابة - الذي يكون الارتباط بهم ضعيفاً يقتصر فيه على المجاملة والمصالح ، وبالتالي فإنَّ للصداقة حدوداً ومراتباً لابد من مراعاتها والعمل على أداءها بما يُناسبها من وظيفة ولا تكون صداقة بين المؤمن وبين الكافر والمنافق والظالم والفاسق لأنَّهم عناصر متنافرة ومتناقضة فكراً وسلوكاً ، ولذا فمن يُريد أن يكسب الأصدقاء فعليه أن يبحث عن القرين المؤمن الصدوق وأن يُبادله الصدق قولاً وعملاً وأن يُبدي له النصيحة كما له أن يقبلها ويُحسن المعاشرة ويُظهر المحبة والتعاون ويلتزم الوفاء بالعقود والعهود وسائر الالتزامات وفق حدود الشرع الشريف لتكون صورته بيضاء ناصعة خالية من الأدران المشوهة لها كالكذب والغش والخيانة والحسد والبخل واللؤم والحمق والغيبة والنميمة والفتنة والجبن وكشف الأسرار والغرور والعُجُب بالنفس والطبيعة العدوانية وما إلى ذلك من آفات النفس واللسان لأنَّ القرين بالمقارن يقتدي ، ومن هنا فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام)[1] : ﴿**واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فإن الصاحب معتبر بصاحبه**﴾ .

وروي أن سليمان (عليه السلام) قال[2] : ﴿**لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه ، وينسب إلى أصحابه وأخدانه**﴾.

وأصبحت هذه النتيجة مرتكزة في أذهان الناس حتى ضُربت لها الأمثال كما في قولهم : **أنَّ شبيه الشيء منجذب إليه** ، وكذلك : **وافق شن طبقة** ، وأيضاً : **الطيور على أشكالها تقع** ، فإنَّه يتأكد أنَّ الصداقة إنما تكون حقيقية

---

[1]- غرر الحكم ودرر الكلم : ص٢٩٤ ح٩٨٨٢ .

[2]- أعلام الدين بصفات المؤمنين لابي الحسن الديلمي : ص١٨٣ .

إذا توافقت الطباع والأفكار والأعمال حيث يحصل الألفة والمودة والمحبة والانسجام والتعاون ، ولكن هذا لا يمنع من كسب أصدقاء جُدُد من المخالفين ويتم ذلك بطريقة مرحلية تدريجية بعد أن تحصل دعوته إلى الحق والعدل والإيمان فإن استجاب وآمن واستقر في نفسه وظهرت على ممارساته فحينئذ يُمكن أن يُتخذ صديقاً وإلاّ فإنّه يبقى أخاً كاشراً يُقتصر معه على المجاملة وقضاء المصالح فقط .

وما نجده اليوم في مجتمعاتنا من معاناة كثير من الناس من خيانة الأصدقاء فإنّه أمر فيه من الخلط والوهم لأنّه في الواقع لم يَأتمنوا الأصدقاء بل ائتمنوا الخائن والكاذب والسارق والمجرم والمنافق والظالم وتوهموا أنّهم أصدقاء لهم ولاذوا بهم فوقعوا في شراكهم واصطدموا بهم متصورين أنهم أصدقاء ، ولذا ينبغي التمييز بين الرفقاء من الصديق الصدوق والأخ الكاشر والعدو وما إلى ذلك لكي لا يقع الإنسان في الضرر المادي والمعنوي .

مؤاخاة أهل السوء

يترتب على مؤاخاة أهل السوء آثاراً شرعية ووضعية حيث لا منجى معهم من الوقوع في المعصية والمفسدة كما أنَّها تؤثر على طباع الإنسان وأفكاره وتصرفاته ، فأهل السوء إنما يتبعون الشيطان الذي يُزَيِّن لهم أعمالهم المبنية على الهوى والمصالح الآنية تحت ذرائع واهية مما يجعلهم لا يحفظون للناس العهود والمواثيق ولا يلتزمون بحسن العشرة والمودة ولذا تضيع عندهم الحقوق ويقودون الناس إلى الفساد والضلال بخلاف أهل الإيمان فإنَّهم يتبعون الله تعالى ويلتزمون بالعدل والمودة والأمانة لأنَّ محور ارتباطهم في الله تعالى فيقودون الناس إلى ما فيه الخير والصلاح ، وهذه الآثار واضحة بالوجدان حيث يتأثر القرين بقرينه سلباً أو إيجابا ، فالمرء على دين خليله ، ولذا تجد نصوص الكتاب والسُنَّة تحث على صداقة أهل الإيمان ممن يبغون وجه الله تعالى وتؤكد على عدم طردهم من ساحة الأخوة في الدِّين لأجل مصالح أخرى كما أنَّها تُحَذِّر من مؤاخاة أهل السوء الذين يتبعون أهوائهم كما قال تعالى [1]: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ، وقوله تعالى [2]: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

---

[1] - الكهف /٢٨ .

[2] - الأنعام /٥٢ .

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وروي أنَّه لَمَّا مَرَّ الملاء من قريش على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك أفنحن نكون تبعا لهم، اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فنزلت الاية.

وقد حذَّر أهل البيت (عليهم السلام) في روايات عديدة من مؤاخاة أهل السوء وقد أرشدوا الناس في بناء علاقاتهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام)[1] : ﴿**قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشرِّ تَبِن عنهم**﴾.

وعن داود الرقي قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام)[2] : ﴿**انظر إلى كل من لا يفيدك منفعة في دينك فلا تعتدن به ، ولا ترغبن في صحبته ، فان كل ما سوى الله تبارك وتعالى مضمحل وخيم عاقبته**﴾ .

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنَّه قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا صعد المنبر قال[3] : ﴿**ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة : الماجن الفاجر، والأحمق، والكذاب، فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ويحب أن تكون مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومَعَادك، مقاربته جفاء وقسوة ، ومدخله ومخرجه عار عليك ، وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ، ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه ، وربما أراد منفعتك فضرك، فموته خير من**

---

[1] - عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي : ص٣٦٩ .

[2] - بحار الأنوار : ج٧١ ص١٩١ .

[3] - الكافي للشيخ الكليني : ج٢ ص٣٧٦ حديث ٦ .

حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش ينقل حديثك ، وينقل إليك الحديث ، كلما أفنى أحدوثة مَطَّها بأخرى مثلها حتى أنه يحدث بالصدق فما يصدق ويفرق بين الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم﴾.

وعن أبي عبد الله، عن أبيه (عليه السلام) قال[1] : ﴿قال لي علي بن الحسين (عليه السلام):يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق فقلت: يا أبه من هم؟ قال: إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويباعد لك القريب ، وإياك ومصاحبة الفاسق الماجن من لا يبالى قولا وفعلا. فإنه بائعك بأكلة أو أقل من ذلك ، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصاحبة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعونا في كتاب الله عز وجل في ثلاث مواضع: قال الله عز وجل:﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم ❖ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾، وقال:﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ ، وقال في البقرة :﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ .

وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام)[2] : ﴿لا تقارن ولا تؤاخ أربعة : الأحمق والبخيل والجبان والكذاب . فالأحمق يريد أن ينفعك فيضرك ، وأما البخيل

---

[1] - الكافي للشيخ الكليني : ج٢ ص٣٧٧ حديث ٧ .

[2] - الخصال للشيخ الصدوق ص ٢٥٢ حديث رقم ١٠٠ .

فإنَّه يأخذ منك ولا يعطيك ، وأما الجبان فإنَّه يهرب عنك وعن والديه ، وأما الكذّاب فإنَّه يصدق ولا يصدق ﴾ .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام)[1] : ﴿شَرُّ الأصدقاء من تَكَلَّفَ لَك ، ومن أحْوَجَك إلى مُدَاراة وألجأك إلى اعتذار﴾ .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) [2] : ﴿أثقل إخواني عَلَيَّ من يتكلف لي وأتحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي﴾ . فلا يكلف أخاه أو صديقه بأكثر مما يستطيع ولا يشق عليه بطلباته .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال[3] : ﴿احذر من الناس ثلاثة : الخائن ، والظلوم ، والنمَّام ، لأن مَنْ خانَ لك خانَكَ ومن ظلم لك سيظلمك. ومن نمَّ إليك سينمُّ عليك ﴾.

وعن سفيان الثوري، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال[4] : ﴿يا سفيان أمرني والدي (عليه السلام) بثلاث ونهاني عن ثلاث فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مداخل السوء يُتَهم، ومن لا يملك لسانه يَندم ، ثم أنشدني:

عود لسانك قول الخير تحظ به ... إن اللسان لما عوَّدت معتاد

مُوكَل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف تعتاد﴾.

---

١ ـ تحفة السنيه في شرح نخبة المحسنيه ملا محسن فيض ج٣ ص٦٤ / قوت القلوب/ج٢ ص١٩٣ أبو طالب المكي.

٢ ـ تحفة السنيه في شرح نخبة المحسنيه ملا محسن فيض ج٣ ص٦٤ .

٣ ـ تحف العقول للحراني : ص٣١٦ .

٤ ـ بحار الأنوار للمجلسي : ج٦٨ ص٢٧٨ .

وروي عن الإمام الجواد (عليه السلام)[1] : ﴿**إياك ومصاحبة الشرير فانه كالسيف المسلول يحسن منظره، ويقبح أثره**﴾.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام)[2] : ﴿**وإياك ومصاحبة الفُسَّاق فإنَّ الشَرَّ بالشَرِّ مُلْحَق**﴾ .

وقال الشاعر :

لا تربط الجرباء حول صحيحة خوفي على الصحيحة أن تجرب

والنصوص في بيان أهل السوء كثيرة وموقف الشرع والعقل منهم واضحة ، والحديث بشرح هذه النصوص يطول ، ويكفي القول بأنَّ دلالتها ظاهرة لا تحتاج إلى تكلف في التفصيل حولها ، ومن هنا ينبغي أن يحترز الإنسان في علاقاته من عناصر تتصف بصفات سيئة كالحمق والفجور والكذب والخيانة والنَميمة والبُخُل والمجون والفُسق وقطيعة الرحم وأمثالها لأنَّ في صُحبتهم الضرر والندامَة حيث أنَّهم لا يُراعوا حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين وبالتالي فلا يكون الصاحب لهم بمأمن من ضياع حقوقه وتضرره دنيوياً وأخروياً بسبب صُحبته لهم وتعامله معهم ، وكلَّما كانت قضايا الأفراد والجماعات بينهم مهمة كانت المخاطر عليهم أعظم ولذا كان لابد أن يكون نظام العلاقات والسفارة بين الأفراد والمجتمعات والمؤسسات والدول قائماً على أسُسٍ موضوعية عادلة وحكيمة فلا يُعقل أن يكون الوسيط والسفير ومَن يُمثل حلقة الوصل في نظام العلاقات كذّاباً أو أحمقاً أو نَمّاماً أو يُحبُ الفتنة ويسعى لها أو ممن يرتشي أو يبتزّ أخوانه في معاملاته أو يُحتمل في حقّه عدَّة ولاءات مختلفة أو يُعرف عنه أنَّه يزيد وينقص في الحديث أو يتلاعب بالألفاظ

---

[1] الإمام الذي للديلمي : ص٣٠٩ .

[2] بحار الأنوار : ج٣٣ ص٥٠٩ .

وفق مراميه أو يكون عميلاً مزدوجاً أو لا يؤدي الرسالة أصلاً بل ينقل رسالة مغايرة عن الواقع المطلوب ، وبتمكين وتسليط أرباب هذه المواصفات السيئة على دور رسالي خطير فإنّه يؤدي إلى إحداث الفتن وتأزيم المواقف والمشاكل والنزاعات وضياع الحقوق والأنفس وتعطيل المجتمعات والأمم عن تنمية قدراتها نحو التقدم والازدهار ، وحينئذٍ لابد من اتخاذ المحاذير الشديدة وإبعاد وعزل هذه العناصر الفاسدة عن أخذ أي دور مهم في حياة الناس رعاية للسلامة والأمان والاستقرار والحفاظ على الحقوق والأنفس والأعراض.

وكان من جملة ما يتأثر به الناس في علاقاتهم هو اعتمادهم على الإعلام الكاذب والإشاعات المُغرضة والنزاعات الحزبية والمصالح السياسية حتى شاعت بينهم ثقافة التجريح والتسقيط وكتابة التقارير الكيدية المبنية على الكذب والخيانة والنميمة .... والتفنن في صياغتها وقد أصبحت هذه الأمور ظاهرة شائعة ولها سوق رائج وروّاد كُثُر لشيوع الأحزاب وأوكارهم التي تستفيد من هذه الأفعال القبيحة لارتباط مصالحهم السلطوية والمادية بتفريق المجتمعات والشعوب وبتجريح وتسقيط من يكون عقبة في طريقها ولو كانت العقبة فيها النصيحة لهم أو فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجب الحذر من هؤلاء الذين يحرقون الأخضر واليابس من أجل أطماعهم الدنيوية التي لا تمتلئ منها جيوبهم وبطونهم وقصورهم ومصارفهم .... كما لا تنتهي أنفسهم عن متابعة الهوى لوجود الغشاوة على قلوبهم وعقولهم وفقدان الوازع الديني ، واعلم أنّ هذه الجماعات إذا دخلوا قرية أفسدوا فيها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وعاليها سافلها وفرّقوا أهلها شيعاً متناحرين ، وفي أجواء هذه

الجماعات والابتلاء بها تنكشف الصداقات من غيرها وقد قال تعالى[١] : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ .

وهنا لابد من اليقظة إلى أنّه ليس من البساطة بمكان وقوع الأمور السيئة التي ذكرناها بين الأصدقاء الصدوقين المُتقين إلا إذا انكشف كون هذه الصداقات وهمية وليست حقيقية فتكشفها الأيام ونوائب الدهر والابتلاء فتعلم حينئذ واقعهم ويكون مصداقاً لما رواه معمر بن خلاد حيث قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: كان أبو جعفر (عليه السلام) يقول[٢] : **﴿لا يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن﴾**.

وبمجرد الاحتكاك البسيط وحصول ما يُكدِّر الصفو في العلاقات فإنّه يستعجل العجول صاحب العلاقة المُزيَّفة ليُكَشِّر عن أنيابه وتظهر الوجوه على حقيقتها وتنكشف فوضويته وجبنه وبُعْده عن الانضباط والالتزام بالمبادئ والقيم والأخلاق كما في قوله تعالى[٣] : **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ❖ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾**.

وهذه الآية الكريمة إنما تصف قوماً ممن يُطلق عليهم الصحابة وهم يتخاذلون عن نُصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفاً وجبناً بل يسعون إلى تهويل الأمر وتخويف باقي الصحابة وتعطيل دور الرسالة في أداء مهامها والدفاع عنها وعن

١- محمد/ ٣١ .

٢ - الكافي للشيخ الكليني : ج٥ ص٢٩٩ حديث٤ .

٣ - الأحزاب /١٨ - ١٩ .

أبنائها ، وهؤلاء هُم ممن يبحثون عن الدنيا في رؤية مادية ومصالح شخصية ضيِّقة ويجعلوها موضع بقائهم واهتمامهم وعافيتهم ، وقد وصفهم سيِّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله[1] : ﴿**إن الناس عَبيدُ الدنيا والدِّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معايشهم فإذا مُحصُوا بالبَلاء قَلَّ الدَيَّانون**﴾.

ولذا تجد هؤلاء العبيد للدنيا الذين يجبنون في مواقف الحق والصدق والعدل والذين يهربون من مقاومة الباطل تحت ذرائع واهية ومكذوبة ، وهذا التصرف المتخاذل يدفعهم إلى إبراز وجوههم القبيحة المنافقة عند وضعهم تحت المساءلة والحساب فيُظهرون التحدي والعمل بالمواجهة العدوانية التي تعتمد الكذب والنميمة والخيانة والتهديد بكشف الأسرار وممارسة الابتزاز المادي أو المعنوي من أجل فرض السياسات الشيطانية والمصالح الخاصة وهذا على فرض وجود أسرار حقيقة لها أثر مهم في حياة الناس وإلاّ فكثير من هؤلاء المُفلسين والخاسرين تجدهم يتحدثون عن أسرار مُخترعة هي من نسج الخيال ووسوسة الشيطان تتلاءم مع تطلعاتهم الشخصية وأهدافهم المريضة فيكذبون للإضرار بالآخرين وتفريق الناس والعمل بالنميمة وسائر الوسائل الشيطانية لإنجاح مآربهم وإلا لو كانت صحيحة فلماذا رضوا بها وسكتوا عنها طوال سنوات بقائهم مع أصحابهم وكانوا شركاء في تلك الأحاديث السرِّية والتي ربما هُم أصلها وفرعها فيكون من الأجدر أن يُحاسَبُوا عليها قبل غيرهم ؟!!! أو أنَّهم يتحدثون عن أسرار مكذوبة من أجل التقرب إلى أسيادهم زلفى والظهور أمامهم بأنهم نشطاء أذكياء في جلب المعلومات السرِّية فيرضى عنهم الأسياد وينالوا منهم ما يبتغون ، وقد وصل الحال

---

[1] ـ تحف العقول لابن شعبة الحراني : ص ٢٤٥ .

بمستوى كثير من المخابرات العالمية من إنتاج معلومات كاذبة عن بعض الدول أو الجماعات أو الأشخاص بعنوان أنها أسرار خطيرة وتبَيَّن أنَّها من مخترعاتهم لتمرير أهدافهم عبر هذه الأكاذيب أو أنَّهم يقعون في حبائل هذا الجاسوس وكاتب التقرير الذي مارس الكذب عليهم من أجل مصالحه الخاصَّة كأن يكون عميلاً مزدوجاً أو أنَّه ذو طبيعة نفسية شرِّيرة تهوى هذه الألاعيب الخبيثة ... ، وهكذا الحال في ممارستهم الطعون وتلفيق التُهم والأباطيل الشيطانية واللجوء إلى الأعداء علانية بعدما كان الاتصال بهم سرّاً والمجاهدة على عمل التكتلات والتحالفات لإعلان جبهة للحرب والعدوان ، ولَو اطَّلَعْتَ عَلَى نواياهم وأسرارهم وأحوالهم سابقاً لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ، وقد قال الإمام علي (عليه السلام)[1] : ﴿**غاية الخيانة خيانة الخِل الودود ونقض العهود**﴾.

وفي خِضَم هذه الأجواء لو ثبت من الصديق أنَّه ارتكب فعلاً قبيحاً اتجاه أصدقائه ولأول مرَّة فيُمكن أن يتم التعامل معه بما يُناسبه من الحكمة والموعظة الحسنة والقضاء العادل الذي يرضى فيه من صديقه بالتوبة النصوح والاعتذار والتعهد والقسم بعدم العودة إلى فعله وإلى ما يشابهه ومعالجة مواقفه بما يأمر به الشرع الشريف ، هذا مع تَحَمّل الموقف بطبيعته ونوعه هذا الأسلوب من التعامل ، ولكن لو انكشف حاله من تكرار هذه الأعمال القبيحة وبمختلف الحالات والأوضاع والجهات حيث يتصل بمختلف الأعداء المحاربين سرّاً أو علانية فالأمر حينئذ يختلف وقد قال تعالى[2] : ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ**

---

[1]- عيون الحكم والمواعظ لليثي الواسطي : ص٣٤٩ .

[2] -المائدة /٥٢- ٥٣ .

أمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ❖ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾، وقال تعالى[1] : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ❖ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وربما يتصور ساذج ممن لا يفرز بين الصديق والأخ الكاشر والعدو أنه يستطيع استيعاب جميع الناس بصداقاتٍ برغم ما يحملون من حق وباطل وحلال وحرام وصدق وكذب وعدل وظلم وخير وشر وحسن وقبيح في مواقف بعضهم للبعض الآخر فيتعامل معهم بالسوية فلا يُغضب أحداً منهم ويُوالي الجميع ويحترم الجميع ويتعامل مع الجميع لأنه لا يهتم للمظلوم ولا ينتصر له ولا يُبالي للحق والعدل ما دامت مصالحه مع الجميع محفوظة فيلغي دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة في حياته ويَدَّعي كذباً وزورا أنه يُحبُ الجميع مما يجعله لا يتخذ موقفاً شرعياً عادلاً خوفاً على مصالحه فيقول في نفسه أو لغيره : الأمر لا يعنيني ، ولا يهمني ، ولستُ طرفاً فيه ، ولا يملئ جيبي ، وما عسايَ أن أفعل لو اتصل بي العدو ، وأكون متفرجاً خير لي من أن أكون مُصْلِحاً فيجرني إلى موقف قد أصْطَف فيه مع طرف دون طرف آخر فأخسر بذلك صداقتي مع ذلك الطرف ، وتصرفه هذا يكشف بوضوح أنه ليس صديقاً لأحدٍ منهم ولا يرجو لهم الخير و لا يتعامل بالأخوة الإيمانية لأنه ليس بمؤمن ، وفاقد الشيء لا يُعطيه بل هو يؤمن بمصالحه الخاصة والتي هي مرحلة وقتية يُمَرِّرها لتحقيق أهدافه وبالتالي فهو خارج عن المسلكية

---

[1] ـ البقرة / ١٤- ١٥ .

الشرعية ولا يُحبُّ أحداً منهم في الواقع وإنما يُحبُّ نفسه ومصالحه فقط ويكون تصرفه هذا من النفاق وهو يُخالف صريحاً الأوامر الإلهية وسيرة الأنبياء والأوصياء والأصدقاء الصدوقين في مواقفهم الرسالية التي لا يتوافقون فيها مع المنافقين والانتهازيين النفعيين والمرتزقة والعصاة المردة والطُغاة المستكبرين وبطانتهم ، ومن جملة أسباب العداء للدعاة الرساليين والمؤمنين الصادقين لأنهم يُفرزون ويُميِّزون في مواقفهم ومسيرتهم بين الحق والباطل والعدو والصديق والمؤمن والمنافق و... وبالتالي فإنَّ وجود الأعداء في حياة الأنبياء والأوصياء والدعاة لم يكُن من صُنع أولياء الله ودعاة الحق ولا من شأنهم إيجاد ذلك (حاشاهم) بل هو من صُنع أعداء الله تعالى الذين لا يخضعون للعدل ومنطق الحق بل يبغضونه ويُحاربونه ولأنهم لا يُؤمنون بطريق الهداية والاستقامة والصلاح إلا بالقدر الذي يَصبّ في مصلحتهم وأهدافهم ولذلك فهُم يُعادون الدعاة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُحدِّثون بالنصيحة ويسعون نحو الإصلاح فيتخذون إزاءهم المواقف العدائية وحينئذٍ تحدث الخصومة والبغضاء ، ويكون هذا المراوغ المنافق ذو الطباع السيئة الذي يدَّعي الحُب للجميع والوقوف مع الجميع والتعامل مع الجميع قد باع دينه وأخلاقه وعلاقاته التي يزعم أنَّه صديق فيها بأبخس الأثمان الزائلة ، فتجده يقوم بتزييف الحقائق والاستخفاف بها واستصغار الكبائر كالكذب والخيانة والنميمة والتعدي على حقوق الصداقة والتحلل منها وتهوينها ويتعامل بوجوه متعددة ومواقف مختلفة وازدواجية في المعايير مع مَنْ يُحسَب عليهم أصدقاء ، فتارة يُخطِّئ ويستنكر على مَنْ يُرتب أثراً شرعياً وعرفياً على هذه القبائح والمنكرات والأخطاء فيقول : ما الذي فعلته تلك الدولة أو تلك الجماعة أو تلك المؤسسة أو ذلك الحزب أو ذلك الفرد حتى يستحق اللوم أو النفور عنه

أو الطرد أو قطع العلاقات ؟!! ، بينما لا يقول للكذاب والخائن والغادر والمعتدي على حقوق الآخرين والموالي للأعداء لماذا ترتكب هذه الأعمال القبيحة الظالمة وتستخف بالآخرين ؟! ، وتارة أخرى يُحدّث الصديق الآخر بعكس ما قاله أولاً حيث يطعن بالخائن والجبان والمنافق والظالم ويستنكر أفعالهم وهو في مواقفه المتناقضة يُثبت كونه منافقاً كذاباً وليس صديقاً لأحد منهم ، وهذا من جملة أسباب تفكك المجتمعات وضعفها ووقوع الشعوب تحت سلطة الطغاة والسفهاء والعملاء ، بينما يعلم المسلم بأنّ الكذب والخيانة والنميمة من الكبائر التي تُخرج الإنسان من دائرة الإيمان وقد توعد الله تعالى عليها نار جهنم ، فكيف نُقرّب إلينا مَن هو بعيد عن الله تعالى ولا يحكم بحكم الله تعالى وقد توعده بالنار ؟ ، وكيف نوالي مَن هو كافر أو منافق أو فاسق متجاهر أو طاغي وهُم أعداء لله تعالى ؟ ، وقد قال تعالى[1] : ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ ، وقوله تعالى[2] : ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**﴾ ، وقوله تعالى[3] : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ ، بل يصل ببعضهم الحال إلى رؤية هذه الأعمال القبيحة على أنّها حسنَة والعياذ بالله تعالى منهم ومن أفعالهم الشيطانية .

وبما ذكرنا يتبين الأثر السيئ والخطير لمصاحبة العناصر الفاسدة وتمكين الجماعات النفعية من واقع العلاقات الإنسانية ومصالح الشعوب .

---

[1] - المائدة/ ٤٧ .

[2] - السجدة/١٨ .

[3] - المائدة/٢٥ .

ما هو الطريق الذي نسلكه لنجاح علاقاتنا ؟ .

حينما يضع الإنسان نُصب عينيه الطُرق المختلفة والمتضادة والمتناقضة في علاقات الناس على مختلف أصنافهم كان لابد له أن يسلك أحدها بمقتضى الطبيعة الإنسانية وحركتها داخل المجتمعات والشعوب ولا يكون اختيار الطريق عبثياً وفوضويا من دون شوق نفسي وإرادة وتحرك خارجي نحو مختاره ، ولكن اختلاف الناس في اختيار الطُرق إنما يكون تبعاً لتفاوت عقولهم ومداركهم واختلاف أهوائهم ومصالحهم ومعتقداتهم ودرجة إيمانهم ، ولذا تجدهم يرتبطوا بأصناف متعددة من الناس منهم الصديق أو الأخ الكاشر (الصاحب) أو العدو ، ولا تخرج هذه الأصناف من الحيثية الدينية عن اتصاف الفرد منها بالمؤمن أو الفاسق أو المنافق أو المُشرك أو الكافر ، وعلى ضوء مقياس العقل السليم والشرع الصحيح الذي لا ينفك أحدهما عن الآخر يتم الفرز بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والحسن والقبيح ، والصديق والعدو .

ومن هنا فإنَّ الإنسان العاقل المتشرِّع لو خُيِّر بين مواصلة صداقاته أو الارتماء في أحضان الأعداء لأجل مصالح دنيوية واعتبارات وهمية فإنَّه سيختار البقاء على صداقاته ، ولو خُيِّر بين أن يكون مخلصاً وفياً صادقاً مدافعاً عن الحق وبين أن يكون خائناً وكاذباً لدواعي وإغراءات دنيوية فإنَّه سيختار الإخلاص والوفاء والصدق ، ولو خُيِّر بين أرباب الحق وأرباب الباطل فإنَّه سيختار الوقوف مع أرباب الحق ، ولو خُيِّر بين أن يتخذ موقفاً رسالياً شريفاً مرْضياً عند الله تعالى وشرفاء الناس وبين أن يتخذ موقفاً سيئاً وخيانياً فيه غضب الله تعالى وغضب شرفاء الناس فإنَّه سيختار الموقف الرسالي الشريف

، ولو خُيِّر بين أن تُحفظ له أعماله السابقة أو تحبط أعماله فإنّه سيختار الموقف الذي تحفظ له أعماله ومواقفه الحسَنَة ، ولو خُيِّر بين أن يسلك الطريق الذي يؤدي به إلى حُسن العاقبة أو إلى سوء العاقبة فإنّه سيختار الطريق إلى حسن العاقبة وما إلى ذلك من الخيارات الكثيرة ، ولذا جعل الله تعالى للمتقين الصادقين الذين يصبرون على الحق ولا يَملُّونه ولا يسأمونه ولا يُضيّعونه منزلة عظيمة ووجاهة في الدنيا و لهم في الآخرة الشفاعة لإخوانهم المؤمنين الثابتين معهم على الحق كما في وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابن مسعود [١] حيث قال :﴿**فليكن جلساؤك الأبرار، وإخوانك الأتقياء الزهّاد لأنَّ الله تعالى قال في كتابه :** [٢] **(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)**﴾.

فالمتقي يحفظ صداقاته في الدنيا والآخرة وهذا من ثباته ومصداقيته وصبره ورجاحة عقله الذي ارتبط في علاقاته على ضوء العقل السليم والشرع الصحيح ، فتكون آية الأخلاّء التي وردت في الحديث الشريف مُخصصة لآية أخرى وهي قوله تعالى[٣] : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ ، فتكون هذه الآية في مقام تصف فيه مشهداً من مشاهد يوم القيامة الذي تنفصم فيه عرى العلاقات الأخوية والصداقة ، إلاّ العلاقات التي قامت لله وفي الله تعالى كما هو مستثنى الآية ﴿**إلاّ المتقين**﴾ الذين تبقى روابط صداقتهم وأواصر مودّتهم خالدة ، لأنّها تدور في فلك الخلود الإلهي الذي تتركز فيه الفضائل والكمال .

١- مكارم الأخلاق للطبرسي (قدس سره) : ص٤٣٧ .

٢- الزخرف/٦٧ .

٣- البقرة/٢٥٤ .

ومن هنا يتصور الإنسان أنَّه يعيش تحت ظل خيارات ثلاث بمقتضى ما هو شائع بين الأوساط الاجتماعية والذي هو من الأخطاء الشائعة ، فالخيار الأول أن يكون منتمياً ، والخيار الثاني أن يكون لا منتمياً ، والخيار الثالث أن يكون مستقلاً أي خيار الوسط بحيث لا يوصف بالمنتمي ، والواقع من وجهة نظر عقلية وشرعية لا يوجد إنسان في الكون يكون مصداقاً حقيقياً للمستقل لأنَّ الاستقلالية هي أمر نسبي لا يُعبِّر عن حقيقة واحدة فاردة بل ينظر إلى جهتين ليكون طرفاً ثالثاً مغايراً لهما وبالتالي فهو ينتمي إلى جهة ثالثة كمن يقول لا شرقية ولا غربية بل جمهورية إسلامية أي أنَّه لا ينتمي إلى المعسكر الشيوعي الشرقي الاشتراكي ولا إلى المعسكر الغربي العلماني الرأسمالي ألاستكباري أي مستقلٌ عنهما ولكنه ينتمي إلى المعسكر الإسلامي وحينئذٍ فهو لا يخرج واقعاً عن دائرة الانتماء أو أنَّه في واقعه يؤمن بأحد الجهتين المختلفتين و لكنه يرفض الركون ظاهراً إلى أحدهما إمَّا خوفاً أو مصلحة أو عجزاً فيكون بحسب واقعه منتمياً ويترتب عليه آثار الانتماء التي تظهر عليه ولو بعد حين من خلال إيمانه وفكره ومواقفه كما في دول عدم الانحياز التي يكون غالب الدول فيها منحازة إلى أحد الأقطاب الاستكبارية في العالم تحت عناوين ظاهرية كالصداقة أو المصلحة المتبادلة وما إلى ذلك بينما هي في واقعها لا تملك سيادة على أرضها ومصالحها ومواقفها وهم اليوم يُمثلون دولاً كثيرة ، وحينئذٍ لا واقع لكون الإنسان يعيش تحت ظل خيارات ثلاث في علاقاته الفردية والجماعية والدولية وغيرها بل الجميع في هذا الوجود يعيش حالة الانتماء سواء في إيمانه أم فكره أم مواقفه ولكن انتماءه مهما كان عنوانه وصفته ومرتبته وقوته فهو لا يخرج في آخر المطاف عن كونه منتمياً في سلسلته التراتبية التصاعدية إلى منتهاها وهو الخير المطلق أو الشر المطلق ، ويُدرك المؤمن أيّاً

كان دينه أو مذهبه بأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الخير المطلق وأنَّ الشيطان هو الشر المطلق ومن خلالهما ينكشف واقع الانتماء وتنوعه بين البشرية في مختلف قضاياهم الحياتية ، فمن آمن بالله تعالى وأطاعه واتبع رسله ودينه وناصر رجاله كان من حزب الله ، ومن كفر بالله تعالى وعصى رسله ودينه وحارب رجاله كان من حزب الشيطان ، ويتضح الانتماء أكثر من خلال ما روي مستفيضاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال[1] : ﴿**افترقت أمة موسى على إحدى و سبعين فرقة و افترقت أمة عيسى على اثنتين و سبعين فرقة و ستفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة ، فرقة منها ناجية و الباقون في النار ، فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله و من الفرقة الناجية فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أنت عليه و أصحابك**﴾ .

إذن رغم كثرة الفِرق والانتماءات المتعددة إلا أنَّ الموحدين من أمة موسى (عليه السلام) ممن تبعوا شريعته في عصره وبعد وفاته بحسب ما أنزلت يكونوا من أهل الجنة لأنَّهم أطاعوا الله تعالى وتكون باقي الفرق التي انحرفت في النار لأنَّها أطاعت الشيطان تبعاً للمصالح الدنيوية الضيِّقة والمفاسد الشيطانية ، وهكذا أمة عيسى (عليه السلام) فإنَّهم اختلفوا وافترقوا ولكن فرقة الموحدين الطائعين في الجنة وما عداهم في النار من باقي فرق النصارى في عصر السيد المسيح وما بعده القريب من عصره ، وبعد مجيء الإسلام فقد نُسخت تلك الشرائع وانتهت ولذا كان على الجميع إتباع الإسلام ونبيه المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سواء كانوا من الموحدين أم غيرهم ، وهكذا افترقت أمّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فرق متعدد وليس من المعقول أنَّ الفِرَق المتناقضة والمتضادة والمتخالفة والمتحاربة تكون جميعها في الجنَّة فإنَّ هذا مخالف للضوابط والموازين الشرعية أيضاً فلابد

---

[1] - عوالي اللالي لابن ابي جمهور الاحسائي : ج٤ ص٦٣ .

أن تكون فرقة واحدة في الجنة وهي المطيعة والمحافظة على الشريعة والفِرق الباقية تكون في النار ، وهنا في هذه الرواية وغيرها الكثير قد تمَّ تحديد الفرقة الناجية وهم أتباع علي بن أبي طالب (عليه السلام) بآيات وأحاديث كثيرة منها : ما ورد في حديث مشهور روته الخاصة والعامة عن ابن عباس قال: عندما نزلت آية : ﴿**(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)**[1] ، قال رسول اللّه لعلي: **هو أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضباناً مقحمين**﴾ .

وأيضاً حديث الثقلين المتفق عليه والمتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : ﴿**إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا بعدي ؛ أحدهما أعظم من الآخر ؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**﴾ .

ومن المعلوم قطعاً أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) [2] بما هو ثابت بالمصطلح القرآني والتعيين والتشخيص النبوي لهم في مواطن عدة هم : علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) .

ولذا ينبغي للإنسان أن يُميِّز في علاقاته بين أصناف الناس المنقسمين إلى الصديق والأخ الكاشر (الصاحب) والعدو ، أو بتصنيف آخر إلى المؤمن والفاسق والمنافق والمشرك ، وإلى غير ذلك من التصنيفات التي يُمكن ذكرها من جهة حيثيات أخرى ، فإنَّ معرفة أصناف الناس ومراعاة التعامل معهم بحسب طبيعتهم يُنجي الإنسان من الوقوع في الضرر الدنيوي والأخروي ،

---

[1] - البينة/٧ .

[2] - يمكنكم مراجعة ما كتبناه عن أهل البيت (عليهم السلام) في كتاب (جذور الإساءة للإسلام وللرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم) وكتابنا الآخر (جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة) .

وهذا ما يفرض علينا أن نختار الطريق السليم في بناء علاقاتنا وتحديد مراتبها ومستوياتها بين أصناف الناس بعد أن نتعرف أيضاً عن مفهوم الخُلّة والأخلاء وما يتعلق بذلك.

الأخلاّء والخُلّة :

الخُلّة التي وردت في القرآن العظيم منها قوله تعالى[١] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، وكذا قوله تعالى [٢]:﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ، وقوله تعالى: [٣] ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

والخُلّة هي تعبير عن غاية الصداقة لأنَّ الأخلاء جمع خليل وهي مأخوذة من مادة - خُلَّة- بمعنى المودة والمحبَّة التي تخللت قلبه ، فصارت خلاله .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره عن الخلّة بقوله [٤] : ﴿والخلة بين الآدميين الصداقة، مشتقة من تخلل الأسرار بين المتخالين. وقيل: هي من الخلة فكل واحد من الخليلين يسد خلة صاحبه﴾.

وقال الأصفهاني في مفرداته [٥] : ﴿الخُلَّة : المودة ؛ إمَّا لأنَّها تَتخلَّلُ النَّفْسَ ، أي تتوسَّطُها ؛ وَإِمَّا لأنَّها تُخلُّ النَّفْسَ ، فتؤثّرُ فيها تأثيرَ السَّهْم في الرَّمِيَّة ؛ وَإِمَّا لِفرْطِ الحَاجَةِ إليْهَا ، يُقالُ منهُ : خَالَلْتُهُ مُخَالَّةً وَخِلالاً فهو خَليلٌ ، وقوله

---

١ - البقرة/٢٥٤ .

٢ - إبراهيم /٣١ .

٣ - الزخرف/٦٧ .

٤ - الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله القرطبي : ج٥ ص ٤٠١.

٥ - مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٩١ مادة : خل ، تحقيق صفوان داوودي .

تعالى : ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خَليلاً**﴾النساء/١٢٥ . لافتقاره إليه سبحانهُ في كُلِّ حَلٍ الافتقار المعنيً بقوله :﴿ **إنِّي لِما أنْزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فقير**﴾ القصص/٢٤﴾ .

وقال الطريحي في مجمعه [١] : ﴿ الخليل: الصديق الذي يخالل في أمرك. وهو فعيل من الخلة أي المودة والصداقة، والجمع أخلاء. قال الله تعالى ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾ الزخرف/٦٧. واختلف في معنى ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ النساء/١٢٥ فقيل نبيا مختصا به، قد تخلل من أمره. وقيل فقيرا محتاجا إليه. ويقال هو عبارة عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه الخليل عند خليله. وفي الحديث " **اتخذ الله إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا، ونبيا قبل أن يتخذه رسولا، ورسولا قبل أن يتخذه خليلا، وخليلا قبل أن يجعله إماما، فلما جمع له هذه الأشياء، قال إني جاعلك للناس إماما** ". وأمَّا قوله : ﴿**لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ**﴾ البقرة / ٢٥٤ ، الخُلَّة بالضم : مودة متناهية في الإخلاص وصداقة قد تخللت القلب وصارت خلاله أي باطنه. ومثله قوله :﴿**لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ**﴾ إبراهيم / ٣١ ، أي لا مخالة ولا مصادقة﴾ .

وقال الشيخ الطوسي في تفسيره [٢] : ﴿فأما الاشتقاق فالخُلَّة بضم الخاء: الصداقة. والخَلَّة بفتح الخاء : الحاجة ، للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج إليه. والخُلَّة بمعنى الصداقة ، فلأن كل واحد منهما يسد خلل صاحبه في المودة، والحاجة. وقيل: لأنه يطلعه على أسراره فكأنَّه في خلل قلبه ، والخلل : كل فرجه تقع في شيء ، والخلال : هو ما يتخلل به لأنه يتبع به الخلل بين الأسنان﴾ .

إذن ينبغي العلم بأنَّ الخُلَّة والخليل لا يتصف بهما الإنسان في علاقاته مع

---

[١] - مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج١ ص٦٩٦ .

[٢] - تفسير التبيان للشيخ الطوسي ج٣ ص٣٤١.

غيره على الوجه الصحيح ما لم يكن ودوداً ومتخلقاً بأخلاق الله تعالى فهو الودود الرؤوف الرحمن الرحيم الكريم العفو الغفور الساتر الذي يود الخير ويُحبه لذاته لا لغرض وعوض أصلاً لأنه الخير المحض والغني المطلق بخلاف خلقه الذي لا محالة يعود خيرهم لذواتهم ولو من جهة الاستكمال والاستعداد والتجمل والتحلي بما يودّه ويحبه ويؤثره ويهواه ، ولذا قيل لبعض العارفين من نصحب من الناس قال : من يعلم منكم مثل ما يعلم الله ثم يستر عليكم كما يستر الله ، ومن هنا كانت الخُلَّة أفضل من أخوة الإسلام لأنَّ الأخوة حاصلة بين المسلمين ولكن الخُلَّة تكون زيادة على الأخوة ، كما أنَّ أخوة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب .

وليس كُل مَن يدَّعي الخُلّة (الصداقة) مع أحد يُؤخذ بقوله لأنَّ الصفات والأفعال هي الحاكمة ، فقد ادعى أبو هريرة الخلة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذَّبه الصحابة وأنكروا عليه ذلك حينما قال : **حدّثني خليلي ورأيت رسول الله** [1]، **فقال له علي (عليه السلام) : متى كان النبي خليلك يا أبا هريرة** .

وقد أنكر المنكرون على أبي هريرة [2] جرأته في استعمال ما نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) . إذ ثبت عن صحاح المسلمين أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يتخذ من صحابته خليلا كما عن جندب أنَّه قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول [3]: **(إنّي أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل)** ، بينما ثبت [4] أنَّ علي بن أبي

---

١ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٨ ، المحصول في علم أصول الفقه لفخر الدين الرازي ج٤ ص ٣٢٦.

٢ - مسند إسحاق بن راهويه ج١ ص ٤١ .

٣ - صحيح مسلم ج٢ باب ٣ - باب النهي عن بناء المساجد على القبور /٢٣- رقم ٥٣٢ .

٤ - راجع كتابنا جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة .

طالب (عليه السلام) هو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخوه وخليله ووصيه وخليفته ومن أهل بيته الذين لا يُقاس بهم أحد من العالمين ولذا فهو لا يندرج تحت مفهوم الصحابة ولا يرقى إلى منزلته الصحابة قطعاً من دون أدنى شبهة ولذا لا يشمله النص الوارد في صحيح مسلم وغيره من الصحاح .

ولا غرابة مما صدر عن أبي هريرة فيما يزعم من الخُلّة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) للعلم بكونه مُدَلِّس وكذّاب ومختلس [1] فراجع .

ولكن سرعان ما تنقلب الخُلّة الدنيوية من المودة والصداقة في يوم القيامة إلى العداوة ومن الموالاة إلى البراءة فيما لو بُنِيَت على الفساد والشرّ والمعاصي والرياء والنفاق أي أنّها تقع في غير الارتباط بالله عزّ وجل ، ولذا يقول الإمام الصادق (عليه السلام)[2] : **﴿ألا كُل خُلّة كانت في الدنيا في غير الله عزّ وجلّ فإنّها تصير عداوة يوم القيامة﴾** .

ولقد أحسن من قال :

من لم تكن في الله خلته ❖ فخليله منه على خطر

ولذا ينبغي أن يتخذ الإنسان خليله حُبّاً في الله تعالى بعيداً عن الدوافع الشيطانية والمصالح الدنيوية حتى يكون بناءه صحيحاً يستند إليه في الدنيا والآخرة.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال[3] : **﴿لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): المرء على دين خليله وقرينه﴾**.

---

[1] - راجع كتابنا جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة ص٤٩ .

[2] - بحار الأنوار للمجلسي (ره) : ج٦٦ ص٢٣٧

[3] - الأصول من الكافي للشيخ الكليني : ج٢ ص٣٧٥ حديث ٣ .

وقال النبي (ﷺ)[1]: ﴿الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل﴾.

ولقد أحسن مَن قال :

إذا ما كنت متخذا خليلا ❖ فلا تثقن بكل أخـي إخاء
فإن خيرت بينهم فألصق ❖ بأهل العقل منهم والحيـاء
فإن العقل ليس له إذا ما ❖ تفاضلت الفضائل من كفاء

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه[2]:

أخـلاء الرجال هـم كثـير ❖ ولكن في البلاء هم قليـل
فلا تغررك خلة من تؤاخي ❖ فما لك عند نائبة خليـل
وكل أخ يـقول أنـا وفـي ❖ ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خـل لـه حسب ودين ❖ فذاك لما يقول هو الفعول

ولذا فإنَّ كلّ خلّة في غير الله تصير عداوة يوم القيامة حيث يتنكر ويبرأ أحدهما من الآخر لكون صداقتهم قد بُنيت في الدنيا على أساس باطل ومنحرف وسارت في طريق الضلال ودخلت بينهم المودة والمجاملات الوهمية وراهنوا عليها لتحصيل النجاح والخلاص والعزّة والكرامة ، ولكنهم حينما يرون نتائج أعمالهم الوخيمة وينكشف الواقع أمامهم في يوم القيامة فيلعن لذلك بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض .

وهنا ينبغي للعاقل أن لا يعقد صداقة وخُلّة وولاء وبطانة مع الفاسدين والظالمين والمنحرفين ، فقد قال تعالى[3]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ

---

١ ـ سنن الترمذي : ج٤ ص١٧ باب ٣٣ رقم ٢٤٨٤ .

٢ ـ الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله القرطبي : ج٥ ص ٤٠١.

٣ ـ سورة آل عمران/١١٨- ١١٩- ١٢٠ .

وَمَاتُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ❖ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ❖ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

والبطانة : وهي السريرة والصاحب مأخوذة من بطانة الثوب التي هي خلاف الظهارة ، وهي في المقام تُستعار لتُعبِّر عن خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره ويطلعون على أسراره ، وفي التعويذ " أعوذ بك من البطانة " .

والخَبال في الأصل : بمعنى ذهاب شيء، وهي تطلق في الأغلب على الأضرار التي تؤثر على عقل الإنسان وتلحق به الضرر.

ولذا لابد من الحذر والابتعاد عن اتخاذ بطانة فاسدة ومنحرفة لأنها تطلع على الأسرار والخُطط والمناهج والعلاقات وآليات العمل وتتصيد نقاط الضعف وبالتالي تستثمرها للابتزاز والمساومة بإزاء تمرير مصالح عدوانية وإشاعة ثقافة منحرفة كالاستسلام للعدو والتطبيع معه وما إلى ذلك و لا أقل من نقل المعلومات إلى الأعداء لإحداث فتن ومشاكل وضرر بالآخرين ، وعلى سبيل المثال فلو أنَّ جماعة قامت بعدوان على جماعة أخرى فاغتصبت حقوقهم وسرقت ممتلكاتهم وكتبت التقارير الظالمة الجائرة إلى الحُكّام وأشاعت الدعايات المُضلِّلة الكاذبة للتشهير والتسقيط وزجَّت كثيراً منهم في السجون بعدما اقتحمت دورهم الأجهزة الأمنية المتعاونة مع الفاسدين المنحرفين وسالت الدماء من بعضهم الآخر بالعدوان الهمجي البربري غيلة بالأسلحة النارية والأدوات الجارحة ووقع نتيجة تداعيات هذه الأمور عالماً شهيداً وهتكوا الحرمات والمقدّسات، كما قد ضيّقوا على تلك الجماعة المؤمنة

ومنعوهم من تحصيل وظائف داخل الدولة وحاربوهم في أرزاقهم وفي استعادة جزء بسيط من حقوقهم مستعينين بسلطة الحكومة الظالمة ومع هذا وغيره مما هو كثير لا يوصف في الفساد والإفساد داخل المجتمع من خلق الفوضى وممارسة الإرهاب إضافة إلى كون تاريخ هؤلاء المعتدين أسوداً مملوءاً بدماء الناس الأبرياء ففي هذه الصورة المبسطة لهذه الجماعة العدوانية الظالمة وأمثالها التي هي بعيدة عن الدّين والتدين والأخلاق فهل يجوز شرعاً وعقلاً وعرفاً مودتهم ومداهنتهم ومجاملتهم والتعاون معهم في مسيرتهم أو فعل ما يؤدي إلى تقويتهم مادياً ومعنوياً ومنحهم مشروعية عمل في السّر أو العلَن ؟!!! .

والجواب : إنّ أمر ذلك واضح من القرآن والسُنّة وعقلاء الناس ، حيث أنّ الاستسلام لهذه الجماعة وأمثالها والخنوع لهم والتطبيع معهم ومودتهم من المحرمات المؤكدة في الشريعة لكونهم أعداء لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله) وللأئمة (عليهم السلام) ولسائر المؤمنين ، كما يوصف فعل المستسلمين بالخزي والعار والذلّة وبالتالي يصبح الذليل الخائن أداة من قبل الأعداء لتضليل الناس وإشاعة الفساد وتضييع الحقوق ، ولذا حذّر الله تعالى من مودة الأعداء حيث قال تعالى[1] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾.

وقوله تعالى[2] : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.

---

[1]- الممتحنة/١ .

[2] - هود/ ١١٣ .

ولذا لابد للإنسان أن يقطع صلته بالخائنين والأعداء الذين لا يستجيبون لنداء الحق والعدل كأحد وسائل الردع الممكنة من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتكون المقاطعة مدعاة للصدق والمحبة والمودة للمؤمنين والقرب إلى الله تعالى ، ومَنْ يعجز من الأصدقاء أو يجبن أو يُصيبه الملل أو يبحث عن الراحة في اتخاذ خطوات ووسائل شرعية يتحرك فيها للضغط على الأعداء من أجل تحقيق العدالة واسترجاع الحقوق فينبغي عليه شرعاً وعقلاً وعرفاً أن لا يتراجع إلى الوراء لدرجة الخيانة والعمل على تقوية الأعداء وطمأنتهم وأن لا يوصل أصحابه إلى الضعف وتأخيرهم عن أداء واجباتهم وإعاقة مسيرتهم لاستعادة حقوقهم ، ومن يفعل ذلك فإنَّه يدخل في دائرة النفاق والخيانة ، بل أنَّه يعمل واقعاً شاءَ أم أبى على تفكيك وحدة جماعة المظلومين والمستضعفين وضرب تماسكهم واستقلالهم وأهدافهم ، ولذا مَنْ لا يستطيع جلب الخير لأصحابه فلا أقل أنَّه يجب عليه أن لا يجلب لهم الشر والوهن والاستسلام والتطبيع المهين ، وينبغي للتوضيح أكثر في وصف الحال للعالَم أجمع هو أنَّ ما قام به اليهود في فلسطين من احتلالها وسرقتها وحرقها مع شعبها في حروب دموية شاملة وإشاعة الإرهاب والفساد في البر والبحر وتهجير أهلها والإساءة إلى المقدسات وما إلى ذلك مما هو معروف عند الجميع ومما لا تحده كتابة مجلدات كثيرة عنهم فيما ارتكبوه من فضائح وجرائم ومحارق وإبادة بحق الإنسانية ، فهل يجوز إقامة علاقة معهم في أقل مراتبها من المجاملة وعقد الاتفاقيات السياسية والصفقات التجارية والتطبيع الاجتماعي وما إلى ذلك؟ ، فحتماً لا يجوز موالاة هؤلاء وأمثالهم واحترامهم والركون إليهم ولو

في أقل المراتب لأنَّ هؤلاء أعداء الله تعالى ولرسوله وللمؤمنين ولا يقول خلاف ذلك إلا مَن كان منهم وجزء من واقعهم بأيِّ نحوٍ من الأنحاء ، وقد قال تعالى[1] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى[2] : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ❖إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ولذا يجب الفرز والتمييز بين الناس على أساس الحق والعدل والصداقة الصدوقة وترتيب الآثار والمواقف الشرعية على ذلك ، كما ينبغي الابتعاد عمّا يوقع الإنسان في الوهم والضلالة باختيار صداقات متوهمة تلبس لبوس الصداقة كما كان يفعل البعثيون الصداميون في عهد الطاغية المقبور وكذا بعد سقوطه وهكذا حال النفعيين الانتهازيين اليوم من المتحزبين وأمثالهم ، فيكون جميع هؤلاء من البعثيين القدامى والبعثيين الجُدد الذين لا يحفظون خيراً ولا عهداً ولا ذمّة للناس فيعملون بالكذب والنفاق والغدر والخيانة والسرقة وهتك الأعراض والإساءة إلى الرموز والمقدسات وسفك الدماء و تضييع الحقوق ... ، وهذا يفرض على الإنسان أن يختار صداقاته وعلاقاته عن وعي ووفق ضوابط إيمانية ويحفظها ليحفظه الله تعالى من الشرور كما عن الصادق (عليه السلام)[3] : ﴿إن الله جلَّ ذكره ليَحفَظ مَنْ يَحفظ صديقه﴾ .

---

[1]- المائدة/٥١ .

[2] - الممتحنة /٨-٩ .

[3] - الكافي للشيخ الكليني : ج٨ ص١٦٢ برقم ١٦٦.

و قال النبي (صلى الله عليه وآله) للحسن بن علي (عليه السلام)[١] : ﴿**اعمل بفرائض الله تكن من أتقى الناس ، وأرْضَ بما قسم الله تكن أغنى الناس ، وكف عن محارم الله تكن أورع الناس ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا ، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلما**﴾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام)[٢] : ﴿**أوصيكم بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الصحابة لمن صاحبكم ، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام، صلوا في مساجدهم ، وعودوا مرضاهم، واتبعوا جنائزهم**﴾ .

وكان فيما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (عليه السلام)[٣] : ﴿**.... يا علي من لم تنتفع بدينه ودنياه فلا خير لك في مجالسته، ومن لم يوجب لك فلا توجب له ولا كرامة**﴾.

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال[٤] : ﴿**إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له وزيرا صالحا إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه**﴾.

ما أجمل هذه النصوص التي تتضمن بنوداً راقية وكُل ما ذكرنا من نصوص في موضوعات سابقة هي راقية وهادفة أيضاً وتؤسس لمدينة فاضلة ومجتمع إن لم نقل أنّه يصبح معصوما فهو مجتمع قليل الوقوع في الخطأ والخطيئة ونادر الوقوع في الرذيلة ، ولذا تستحق هذه النصوص جميعاً أن تكون دستوراً في بناء العلاقات ليحفظ لنا في مراعاته الحقوق ويُحقق التكافل الاجتماعي وينشر المودة والمحبة ويُفشي السلام بحيث ينظر إلى الحاكم ووزيره

---

[١] -مشكاة الأنوار في غرر الأخبار للشيخ أبي علي الطبرسي : ص١٦٠ ، بحار الأنوار : ج٧١ ص١٥٩ .

[٢] -مشكاة الأنوار للطبرسي : ص ٢٥٥ .

[٣] - بحار الأنوار للشيخ المجلسي : ج٧٤ ص٤٧ .

[٤] - بحار الأنوار للشيخ المجلسي : ج٧٤ ص١٦٤ .

فما دون فإن كان الوزير صالحاً فإنّه يكون رحمة بالحاكم فإن نسي الحاكم ذكّره وإن ذَكَرَ أعانه على تسديد الحقوق ودرأ المفاسد ومنع المظالم .

إذن الصداقة ليست علاقة هامشية ومصاحبة مصلحية بل هي أمر عظيم يتركب منها نسيج المجتمع ويُبنى عليها حفظ النظام وتحصين الحقوق ودفع المظالم والمكاره بل رعاية المشاعر في الأفراح والأحزان وعقد الوفاء والتناصح وما إلى ذلك من تركيبة منسجمة متآلفة في حقوقها وممارستها ، وهذا الالتزام في حفظ الصداقة يكون بذرة قابلة للنمو والتكاثر والانتشار لتصبح ثقافة سائدة في المجتمعات فتقوى بها الأمّة والجماعات وتنال حقوقها وتسترد عافيتها وتزدهر في ثقافتها وواقعها بمختلف المجالات وتؤسس لمجتمع فاضل وقوي وعزيز ، ويكون هذا من جملة ما يؤدي إلى ضعف الأعداء واندحارهم إلى ما يستحقون ، ثمّ إنّ من يحفظ صديقه فإنّ الله تعالى يحفظه من السوء والمكاره و.. ، كما أنّ أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبها لا تمنع رزقاً ولا تُقدّم أجلاً ولا تُفقد عزّا وكرامة لأنها أمور بيد الله تعالى القوي العزيز الرازق المُحيي والمميت وهذا هو المعتقد السليم للمؤمنين الرساليين الصادقين ، إذ يقول تعالى[1] : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ .

وقوله تعالى[2] : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى[3] : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

---

١ - الإسراء/٣٠ .

٢ - العنكبوت /١٧ .

٣ - الأعراف /٣٤ - النحل /٦١ - يونس ٤٩ .

يَسْتَقْدِمُونَ﴾ .

وقوله تعالى[١] : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

فيُروِّج المنافقون والخائنون والنفعيون على أنَّ الأرزاق منحصرة بأسيادهم وطرق عملهم كما يُخوِّفون الناس من الموت إذا سعوا في سبيل الله تعالى وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما أنَّهم يُشيعون على أنَّ العزة في ظلال الطغاة وعملائهم المرتزقة بخلاف ما يعتقده المؤمنون على طبق ما ذكرنا من آيات كريمة ولكنَّ المنافقين وأشباههم يكذبون وينكشف زيفهم من خلال واقعهم السيئ المنحرف ونفور شرفاء الناس عنهم وارتكابهم المفاسد والمعاصي ووقوعهم تحت الغضب الإلهي ويُدركهم الموت ولو كانوا في بروج مشيدة ويُذلهم المرض أو الخسارة في التجارة فإلى أين يهربون من هذا الواقع البائس ؟!!! وقد قال تعالى[٢] : ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، ومن وصايا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال[٣] : ﴿من أراد عزا بلا عشيرة، و هيبة من غير سلطان، و غنى من غير مال، و طاعة من غير بذل، فليتحول من ذل معصية الله إلى عز طاعته، فإنه يجد ذلك كله﴾ .

ومن وصايا الإمام الصادق (عليه السلام) لسفيان الثوري قوله[٤] : ﴿من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته﴾ ، وهنا يخسر المنافقون والخائنون والمرتزقة الذين يتعاملون في علاقاتهم

---

[١] - المنافقون/٨ .

[٢] - يونس/ ٦٥ .

[٣] - الأمالي للشيخ الطوسي : ج٢ ص ١٠٢ .

[٤] - الخصال للشيخ الصدوق : ص١٦٩ .

وفق حسابات دنيوية مادية ويحملون شعاراً وهو(المصلحة فوق كلّ اعتبار) أو أنّ ما أفعله هو يخصني ولا علاقة لي بالآخرين ، ويكون نتيجة المقام أنْ قطع العلاقة مع دولة أو جماعة أو فردٍ لأسباب و دواعي حقيقية إيمانية لا يُقلل الأصدقاء بل يحفظهم من السوء ويجعلهم في حصنٍ يمنع عنهم الوقوع في الضلالة والفساد والتفرق والانهيار، حيث قال تعالى[1] : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّه الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

وفيما روي[2] : ﴿انّ الله تعالى أوحى إلى داود يا داود إني وضعت خمسة في خمسة و الناس يطلبونها في خمسة غيرها فلا يجدونها ، وضعت العلم في الجوع و الجهد و هم يطلبونه في الشبع و الراحة فلا يجدونه ، و وضعت العزّ في طاعتي و هم يطلبونه في خدمة السلطان فلا يجدونه ، و وضعت الغنى في القناعة و هم يطلبونه في كثرة المال فلا يجدونه ، و وضعت رضائي في سخط النفس و هم يطلبونه في رضا النفس فلا يجدونه و وضعت الراحة في الجنة و هم يطلبونها في الدنيا فلا يجدونها﴾.

---

[1] - فاطر/١٠ .

[2] - عدة الداعي لابن فهد الحلّي : ج١ ص١٠٩ .

ما هو موقفنا من العلماء والجُهَّال ؟

حينما نتكلم عن أصناف الناس من جهة العلم فذلك يعني تصنيفهم إلى علماء وطبقة واعية مثقفة وإلى جُهّال، وقد قال كميل بن زياد (رحمه الله) [1]: **﴿أخذ بيدي أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم من المسجد حتى أخرجني منه ، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال : ﴿يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، أحفظ عني ما أقول : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق. يا كميل ، العلم خير من المال ، العِلْم يحرسك، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق. يا كميل ، صُحْبَة العالم دين يدان به ، وبه تكملة الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة بعد موته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه. يا كميل ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة﴾.**

وبهذا الوصف البديع في مدح العلماء والتصنيف الحكيم للناس وبيان فضل العلم والحكمة تتضح المعالم الرئيسية لمعرفة الموقف من العلماء والجُهّال من دون التفصيل في ذلك ، ومع هذا فإنّه ينبغي وجود معادلة عادلة للجمع بين أصناف المجتمع ولا يكون ذلك إلا إذا وُجِدَ الوعي والإيمان بحيث يتعاون

---

[1] ـ الإرشاد للشيخ المفيد : ج١ ص٢٢٧ .

الجميع على إيجاد منظومة منسجمة في ألوانها ومتماسكة في خيوطها تكون لهم كساءً يتقون به من الآفات والضلالات والمظالم وبالتالي يُعطي كُلَ صنفٍ منهم انطباعاً لائقاً بمجتمعه وصنفه ، وحينئذٍ يحصل التفاعل والانسجام بحيث يهتم الناس بالعلماء ويستفيدوا من علومهم ومعارفهم ومشورتهم كما على العُلماء أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويُظهروا علمهم ويُفقهوا الناس في الدّين ويحكموا بينهم بالعدل ويردّوا البدع والأباطيل وتأويل الجاهلين فتظهر في المجتمع الطبقة الواعية المثقفة التي تكون سنداً وذراعاً للعلماء من أجل توسيع دائرة الوعي والمعرفة بين صفوف الناس ، وحينما تَتم الاستجابة للوظيفة العملية الشرعية بشكل جماعي تحدث حينئذٍ الموازنة في العمل وينشأ المجتمع الفاضل الذي يخضع لمنطق الحق والعدل والحُبِّ والسلام ، ومن لا يخضع لهذا المنطق وهذه المنظومة فإنّه سوف يخضع لمنطق ومنظومة قد استحكم عليها الجهل والطمع والحسد والطغيان ومخاصمة العلماء الرساليين الربّانيين ومواجهتهم لتعميم ثقافة ضالة لا تستند إلى مبادئ واقعية وقيم أصيلة وأخلاق حميدة لينشأ بعد ذلك المجتمع الفاسق والمفكك والضعيف الذي يؤمن ويخضع للقوة والمصالح الخاصة وهوى النفس الأمّارة بالسوء ، ولذا ففي مقام العمل على الساحة لو خُيّر الإنسان العاقل الواعي المؤمن بين الركون إلى العلماء الصادقين أو الركون إلى الجُهّال الضالّين فإنّه حتماً سيختار العلماء ، وحينما نتكلم عن العلماء فينبغي أن لا نتجاوز ما ورد في فضلهم وانتمائهم مما قاله الخالق العظيم و رسوله الكريم و الأئمة المعصومين و حكماء البشر.

أمَّا في الكتاب منها :

١. قوله تعالى[١]: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

٢. قوله تعالى[٢] : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

٣. قوله تعالى[٣] : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وأمَّا في السُنَّة منها :

١. قول النبي (صلى الله عليه وآله)[٤] : ﴿النظر في وجوه العلماء عبادة﴾.

٢. وقد روي أنَّه[٥] : ﴿جاء رجل من الأنصار إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله إذا حَضَرَت جنازة ومجلس عَالِم أيُهما أحبُ إليك أن أشهد ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن كان للجنازة مَنْ يتبعها ويدفنها فإنَّ حضور مجلس عالِم أفضل من حضور ألف جنازة ، ومن عيادة ألف مريض ، ومن قيام ألف ليلة ، ومن صيام ألف يوم ، ومن ألف درهم يتصدق بها على المساكين ، ومن ألف حجة سوى الفريضة ، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بمالك ونفسك وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عَالِم ؟ أما سمعت أنَّ الله

١- غافر/٢٨ .

٢- المجادلة/١١ .

٣ - الزمر /٩ .

٤ - السراج الوهاج للفاضل القطيفي : ص ٢٢ .

٥- بحار الأنوار للمجلسي : ج١ ص٢٠٤ رقم ٢٣ .

يُطاع بالعلم ويُعبَد بالعِلم ؟ وخير الدنيا والآخرة مع العلم ، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل ؟ ﴾.

وأيضاً احتراما واكراماً لأهل العلم والفضل فإنَّ سعد بن معاذ لَما دنا قريبا من المسجد ، أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالقيام لسعد فقال[1]:﴿قوموا إلى سيِّدكم أو خيركم﴾ .

ويتأكد ذلك فيما لو كان العَالِم من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث يجتمع عنده كرامة العلم وكرامة النسب وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) [2]: ﴿ إنّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا ، رجل نَصرَ ذُريتي ، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق ، ورجل سعى في قضاء حوائج ذريتي إذا طردوا أو شُرِّدوا ، ورجل أحبَّ ذريتي باللسان والقلب ﴾ .

وأمّا ما ورد عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) منها :

١. روي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنَّه قال[3] : ﴿جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة ، والنظر إلى العالم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في البيت الحرام ، وزيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت وأفضل من سبعين حجة وعمرة مبرورة مقبولة ، ورفع الله له سبعين درجة ، وأنزل الله عليه الرحمة ، وشهدت له الملائكة أنَّ الجنة وجبت له ﴾ .

---

١ - صحيح مسلم ج٥ ص ١٦٠، مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص ٢٢ وغيرهما .

٢ - تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج٤ ص ١١١ .

٣ - بحار الأنوار للمجلسي : ج١ ص٢٠٥ رقم ٣٣ .

٢. وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال[١] :﴿إنّ مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه﴾.

٣. وعن أبي عبد الله (عليه السلام) انه قال[٢] : ﴿إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجل الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء﴾ .

٤. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال لكميل[٣] : ﴿هلك خزان الأموال وهُم أحياء والعلماء باقون ما بقى الليل والنهار أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة﴾ .

٥. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)[٤] : ﴿صاحب الحكماء ، وجالس الحلماء، وأعرض عن الدنيا ، تسكن جنة المأوى﴾ .

٦. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)[٥] : ﴿عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الألباء الأتقياء الذين يغنم فضائلهم ، وتهديه علومهم ، وتزينه صحبتهم﴾ .

وأما ما ورد على لسان حكماء البشر منها :

١. وصية لقمان (عليه السلام) لابنه[٦] : ﴿جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإنّ الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء ..﴾.

---

١ ـ تحف العقول لابن شعبة الحرّاني : ص ٢٣٨ .

٢ ـ من لا يحضره الفقيه للصدوق : ج٤ ص٣٩٨ .

٣ ـ عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمد الليثي الواسطي : ص٥١٣ .

٤ ـ عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي : ص٣٠١ .

٥ ـ عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي : ص٣٣٠ .

٦ ـ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار للطبرسي : ص٤٤٧ .

٢. وأيضاً وصية لقمان (عليه السلام) لابنه[1] : ﴿يا بُني : أختر المجالس على عينك ، فإن رأيت قوماً يذكرون الله جلّ وعزّ فاجلس معهم ، فإن تكُن عالماً نفعك علمك ، وإن تكُن جاهلاً علّموك ، ولعلّ الله أن يظلّهم برحمة فيعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فإن تكُن عالماً لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبة فيعمّك معهم..﴾.

والنصوص كثيرة في هذا المقام ، ولكن ينبغي التأكيد عليه وهو أنّ العاقل لابد له أن يتخذ موقفاً عملياً شرعياً وعقلياً لا يخرج فيه عن دائرة العلم والعلماء ولا يكون في مواجهتهم إلى جنب الأعداء وسائر الجُهّال ، ولذا عليه أن يتعامل ويتعاون ويتجاور ويتحاور مع العناوين المتصلة بالله تعالى والموجودة مع الناس بأجسامهم والباقية معهم في علومهم وتجاربهم ومواعظهم وذكراهم الجميل بعد وفاتهم وهم العلماء الرساليون والمراجع الربّانيون فيأنس بهم وبسيرتهم الرسالية ويتواضع لهم ويستفيد منهم ومن آثارهم في حياتهم وبعد وفاتهم حيث النور المتواصل الذي يستضيء به الناس دائماً ولذا كان مدادهم أفضل من دماء الشهداء كما وقد جعلهم الله تعالى ورثة الأنبياء وقادة البشر ، وليس للإنسان أن يلجأ إلى العناوين الجاهلة المفقودة الذين يُعطلون عمل العلماء ويؤخرون مسيرتهم بل ويسعون للتنكيل والتجريح بهم ومحاربتهم حتى سجّل لنا التأريخ وإلى يومنا الحاضر مآسي العلماء ووقوعهم تحت أيدي الطُغاة والمرتزقة والجُهّال ، وبدلاً من إكرام العلماء وتعظيم شأنهم وتوفير احتياجاتهم فإنّهم يقومون بتعريضهم للحصار

---

[1] - علل الشرائع للصدوق : ص٣٩٤ حديث٩ .

والتضييق والمِنَّة البغيضة والتكذيب والتهجير والمطاردة والحبس والتعذيب والإعدام بأبشع صورها كما يقومون ببهتانهم وخيانتهم وما إلى ذلك من الكبائر والقبائح ، ولكن هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ، وهل هناك إحسان على البشرية جمعاء أعظم من إحسان الأنبياء والأوصياء والعلماء ؟، وهل يصح مقارنة الأمور المادية في غير مورد الضرورة بالعلم والعلماء ؟ ، والعلماء سبب لهداية الناس وتنوير طريقهم وبهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين(عليه السلام)[1] : **﴿فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم﴾**.

إذن فضل العلماء على جميع الناس ثابت ولا يُقاس بفضلهم فضل ، حيث يكتسب الناس منهم العلم والمعرفة والهداية والوجاهة وسلامة الفكر والموقف في عالم الدنيا والإعداد الصحيح ليوم الآخرة ، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال [1]:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم ❖ على الهدى لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ❖ والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعيش حياً به أبدا ❖ الناس موتى وأهل العلم أحياء

دلائل النبوة للأصبهاني : ص١٢٤ .

- الدر المختار للحصفكي : ج١ ص٤٣ ، وشجرة طوبى للحائري : ٣٨٧ .

مراتب الصداقة

للصداقة مراتب بحسب تفاوت الأصدقاء علماً وإيمانا وتديناً وخُلُقاً فربما يوجد صديق ولكنه لا يرقى إلى مستوى صديقه في الرتبة العلمية والإيمانية والعبادية والأخلاقية فيبقى وجود التفاوت بالشكل الذي يخضع فيه المتعلم للعالم والعالم للأعلم والمؤمن للمتقي والقاضي للأقضى والمُخطئ للمعصوم والإمام للرسول ولكن هناك عناصر مشتركة بينهم تجمعهم ولو إجمالاً لتحقيق مفهوم الصداقة منها ؛ الارتباط بالله تعالى والالتزام بالعهود والمواثيق وحفظ الصديق حيّاً وميتاً والوفاء له والنصيحة وكتمان الأسرار وأن يكون مرآة صافية لصديقه وغير ذلك .

ثُمَّ إنَّ الصديق إنَّما يكون كفؤاً لصديقه إذا كان متصفاً برتبة إيمانية وولائية وسلوكية متساوية أو أقل منها بقليل ، ولذا كانت الرتبة الإيمانية والولائية والسلوكية لأبي ذر الغفاري على نحو المثال رتبة بمستوى عالٍ وبهذا لم يرقى لها الكثير من أصحابه لنيل رتبة الصداقة معه مما نتج عنه أنَّ أصحابه قد تركوه ولم يُناصروه رغم كونه من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) الصدوقين المخلصين الواعين وأنَّه على حق في مسيرته ومواقفه ولذا قال أبو ذر الغفاري (رحمه الله)[1]: **﴿ما ترك الحق لي صديقاً﴾** .

---

[1] – الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم : ج٢ ص١٥٨ .

وهكذا الحال في صداقة العلماء ومعرفة منازلهم وتقييمها واحترام حقوقها ومراعاتها بما يُناسبها ومحاولة الإنسان الجادة للرقي بالنفس لصداقة العلماء الرساليين الأخيار والمحافظة عليهم والوفاء لهم من جهة كونهم أصدقاء متميزين أو علماء قادة أو رجال إصلاح وهداية وعبادة ، ومن صداقة العلماء يترقى الإنسان المتقي الواعي إلى صداقة المعصوم (عليه السلام) [1] بمعنى أنّه يُحسن الصُحبَة التي هي أعلى مراتبها الصداقة التي تتصف بمصداقية عالية إلى درجة اليقين مما تجعله لا يتردد ولا يشك في الحق إلى جنب المعصوم ولا يترك نصرة الحق رغبة أو رهبة وبالتالي فالصديق بهذا المستوى لا يكذب ولا يخون ولا يُنافق ولا يَحسد ولا يكون خصماً للمعصوم ولا يعصيه ولا يرتكب الكبائر وما إلى ذلك كما في صُحْبَة سلمان والمقداد وأبي ذر وعمار لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهكذا حال أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) وما قدّموه من تضحيات عن إيمان وحب ودراية حتى منحهم شهادة خالدة في خطبته ليلة عاشورا فقال[2]: **﴿أما بعد. فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي. ولا أهل البيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنى خيرا﴾**.

وحقّاً وصدقاً وعدلاً ما يقوله (عليه السلام) حيث كان أصحابه على يقين بإمامة الحسين الواقعية وانكشاف الواقع لديهم في عدالة قضيتهم ومعرفة عاقبتهم ومنزلتهم عند الله تعالى وبالتالي اندفاعهم نحو الشهادة إيمانا منهم بضرورة أداء الوظيفة الرسالية ولو بالاستشهاد ولم يترددوا في مواجهة أعداء الرسالة

---

١ - لتوضيح هذه الصداقة بشكل أوسع ينبغي مراجعة كتابنا : **جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة** .

٢ ـ المسائل العكبرية للشيخ المفيد : ص٧١ ، وكذا في الإرشاد : ص٢١٤ ، وبحار الأنوار : ٤٤ / ٣٩٢ وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ج ٤ ص٣١٧ .

والرساليين ، ثُمَّ يوجد ما هو أعظم من ذلك وهو الصداقة المتبادلة بين المعصومين (عليهم السلام)، والصداقة بينهم لا تعني الصُحْبَة الحَسَنَة ولو كانت بأعلى مراتبها بل هي علاقة أعظم من ذلك بل أعظم من الخُلَّة في مرتبتها العُليا لأنَّهم نفس واحدة وبعضهم من بعض وهم من الرسول (صلى الله عليه وآله) والرسول منهم في معادلة ليس لها نظير في الكون كما هي الصورة الرائعة بين أهل الكساء وهم أهل بيت النبوة حيث أنَّ النفس الواحدة بمستوى المعصوم تكون مطلعة على ذاتها اطلاعاً تاماً ولذا يعرف أحدهم الآخر معرفة حقيقية وتنكشف صورة أحدهما للآخر انكشافاً تاماً ، ووجود هذا المظهر الخارجي لهم المتحد في جهة الإيمان بالله تعالى وتحمل الرسالة وتبليغها ثُمَّ أنَّهم يُمثلون النسيج المتجانس في النسب الشريف الطاهر والمصاهرة النورانية التي أمر الله تعالى بها والذرية الطاهرة المعصومة الذين هم أسياد الدنيا والآخرة ويكفي أنَّهم لم ولن يحتاجوا إلى أحد من الخلق في علومهم ومعارفهم واستغنائهم عن الكُل دليل على إمامتهم للكُل ، ولو حاول اللِّسَان حصر أوصافهم لعجَزَ وكَلَّ ، وكما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي [1] في حق أمير المؤمنين (عليه السلام) حين سُئل عنه قال : ﴿**ما أقول في حق امرئ كَتَمَت مناقبه أولياءه خوفا ، وأعداءه حَسَدا ثم ظهر من بين الكتمين ما ملاء الخافقين** ، وقيل له أيضا : ما الدليل على أن عليا إمام الكل في الكل ؟ قال **احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل**﴾ .

ومن الجدير بالذكر أن نتكلم عن واقع معاصر يكشف عن عمق علاقة المتعلمين بعالمهم وارتباطهم به والتزامهم بمنهجه ومسلكيته وجهاده ، فعلى سبيل المثال وليس الحصر حيث نجد بيان الموقف الرسالي للمقاومين

---

[1] - بُغية الوعاة لجلال الدين السيوطي ص ٢٤٣ ، تنقيح المقال للمامقاني ج١ ص ٤٠٢ تحت رقم ٣٧٦٩.

الإسلاميين في جنوب لبنان والوفاء لعلمائهم وقادتهم وشهدائهم ، ومما يُمكن الاستشهاد به ما جرى على القائد المجاهد السيد موسى الصدر ورفيقيه في ليبيا من تغييب قسري على عهد القذّافي المقبور ، فإنَّ المقاومة قامت وما زالت تُطالب بهم وبشدة وعلى كل المستويات لتخلية سبيلهم ولا أقل من الكشف عن مصيرهم وما زالوا على ذلك منذ ثلاثين عاماً مع اتخاذهم موقف قطع العلاقة الرسمية بين دولة لبنان ودولة ليبيا برئاسة الطاغوت معمر القذافي حيث أفادت القرائن والمعطيات المؤكدة أنَّ المخابرات الليبية قامت بهذا التغييب القسري للمجاهد السيد موسى الصدر ورفيقيه ، وبعد هذا الانقطاع الطويل في العلاقات بين دولة لبنان وليبيا فإنَّ بعض السياسيين أراد للدولة اللبنانية الحضور في القمة العربية المنعقدة في الجماهيرية الليبية عام (٢٠١٠م) وقال إلى متى هذا التقاطع وقد مرَّ على غيابهم زمن بعيد من دون نتيجة ؟، وينبغي تغليب مصلحة البلدين والعدول عن موقف المقاطعة لليبيا .

فأجابه أحدهم وهو من النصارى بقوله : بأنَّ جماعة السيد موسى الصدر من الشيعة الذين يُعرف عنه بالصبر الطويل على حقوقهم وارتباطهم برموزهم ، والعجيب مما هو معروف أنَّهم صابرون على انتظار إمامهم المهدي وقد مَرَّ على غيابه أكثر من ألف ومائتي سنة وحينئذٍ فما قيمة الثلاثين عاما إزاء هذا الانتظار الطويل لإمامهم .

وهذا النصراني يُدرك ميزة الشيعة من جهة ارتباطهم بأئمتهم وعلمائهم، وربما يحتاج إلى مثال أعظم من الانتظار وهو إقامة التعازي وإظهار الحزن والبكاء ونشر السواد منذ أكثر من ألف وثلاثمائة وسبعين سنة على استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وهُم يُجددون له الولاء والنصرة ويوعدون قاتليه الأخذ بالثأر منهم ومن الذين يرضون بفعلهم والذين يسيرون على نهجهم العدواني

الظالم من طغاة العصر ، وبذلك فإنَّ الحق لا يضيع ما دام وراءه مطالب،ولذا ينبغي أن نكون قدر المسؤولية في حفظ ولاءاتنا الإيمانية وصداقاتنا وحقوقنا ، وأن نكون من الأوفياء لعلمائنا وقادتنا الرساليين وأصدقائنا الصدوقين ، وأن نكون أمناء على كلّ ما من شأنه أن يدخل تحت مفهوم الأمانة من الأمور المادية والمعنوية .

خطوط الرجعة بين الأصدقاء

قال أمير الحكمة الإمام علي (عليه السلام)[1] : ﴿**وإنْ أرَدتَ قَطيعَةَ أخيك فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّة تَرْجعُ إلَيْهَا إنْ بَدَا لَهُ ذلك يَوْماً مَا**﴾.

وينبغي أن يضع الأصدقاء الصدوقين فيما بينهم في حال حدوث التقصير أو الخطأ أو سوء الفهم أو الخصومة أو المُشكلة خَطّاً للرجعة بحيث لا تحصل القطيعة الأبدية من أجل أن تعود المياه إلى مجاريها ولا يخسر الطرفان الصداقة الحميمة والصلة المتينة والسند والقوة وما إلى ذلك ، ومَنْ لا يضع الخط الصحيح لرجعة الصداقة فهذا يكشف إمّا على الحمق وإما على أنّه عدو وكلاهما لا يستحقان الصداقة .

ولا ننسى أن نقول : أنّه في كل زمان ومكان يندر فيه الأصدقاء الصدوقين لأنهم أعز من الكبريت الأحمر فلابد من الاهتمام بهم في الدنيا والشفاعة لهم في الآخرة ، وقد خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعة أيام وقال في جملة ما قال (عليه السلام)[2] : ﴿**لا ترغب فيمن زهد فيك ، ربَّ بعيد هو أقرب من قريب ، سَلْ عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار ، استر عورة أخيك لما تعلمه فيك ، اغتفر زلة صديقك ليوم يركبك عدوك** ﴾.

والصديق في هذه الرواية هو الصديق الصدوق المحب الذي اذا صدرت منه

---

[1]- عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي : ص١٦٢ .

[2]- الكافي لثقة الإسلام الكليني : ج٨ ص٩٨ .

زلّة أي خطأ ينبغي على صديقه أن يَغُض الطرف عنه ويحمله على محملٍ حسن وأن يُبدي تسامحاً معه لأنّك لا تجد صديقاً صدوقاً معصوماً من الزلل ومرضياً من جميع الجهات ، ولأنّه لابد لكل إنسان من صديق يأنس بحضوره ويفرح بصحبته ويكون عوناً وسنداً ومواسياً له في الضرّاء ويُفضي إليه بهمومه ويُشاركه أفراحه ، ولكن ليس مما يُغفر من زلل الأصدقاء من يُمارس فعل الكذب والخيانة والنميمة والتجسّس وإفشاء الأسرار أو التهديد بكشفها وابتزاز الأموال بها أو ابتزاز المواقف والركون إلى الأعداء والإصرار على فعل القبيح والتحدّي واستضعاف صديقه فأفهم الفرق وتأمل، ومن هنا بَيّنَ الإمام علي (عليه السلام) الفرق بين هؤلاء وقال[1] : ﴿**احمل نفسك من أخيك عندَ... تباعده على الدُّنوّ، وعندَ شدَّته على اللّين، وعند جُرمه عَلى العُذر حتّى كأنّك لَهُ عَبْدٌ وَكأنّه ذُو نعمَة عَلَيْك. وإيّاك أنْ تَضَعَ ذلكَ فِي غَيرِ مَوضِعه أوْ أنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أهله. لاَ تتخذَنَّ عَدوَّ صَديقكَ صَديقاً فَتُعادي صَديقك**﴾.

إذن لابد أن تضع هذه الضوابط والموازين في حمل النفس من الصديق على الدنوّ وعلى اللّين وعلى العُذر وما إلى ذلك فيمن يستحق ذلك ولا تضع هذا الحمل في غير موضعه ممن لا يستحق فينقلب عليك شرّاً وبؤسا. وفيما ذكرنا مما ورد عن الإمام الباقر(عليه السلام) قوله[2] : ﴿**لا يَخُنكَ الأمين ولكن ائتمنت الخائن**﴾.

وهكذا الحال فيمن لا يترك خَطأً للرجعة مع صديقه ويعمل على محاربته وتهديده واللجوء إلى أعدائه ،فإنّ هذا يكشف على أنّ المُحارب للصديق والداخل في أحضان أعداءه لم يكن صديقاً لأنّ الصديق لا يُحاربُ صديقه

١ـ عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي : ص٨١ .

٢- الكافي للشيخ الكليني : ج٥ ص٢٩٩ حديث٤ .

ولكن المنافق والكذّاب والنفعي الذي توهمت أنّه صديق هو الذي يُحاربك ويلجأ إلى أعداءك ويخونك ويتوعدك .

ولذا غالباً ما تجد المنافق المُحارب والكذَاب والجاسوس والخائن لا يضع لعلاقاته خطوط رجعة بل أنّه يُمارس كل أنواع العدوان المُتاحة وبمختلف الوسائل ويتوغل بفعل القبيح ويكسر كل الحواجز ويرتكب كلّ رذيلة ويستهين بمفهوم الصداقة ، وإذا ما انكشفت للناس أكاذيبه ونذالته ونواياه الخبيثة الشيطانية فإنّه يتذرع لذلك بأسباب وهمية وواهية من أجل أن يحفظ مصالحه بين الناس فيقول لهم : إنّما أردتُ من هذه الأعمال أن أُمَارس الضغط على الصديق من أجل أن يقبلني وأعود إليه ، ولكنه لا يقول للناس مثلاً أنّه يُريد العودة والرجعة في إطار مصالح شيطانية ووفق إرادته ومن دون الالتزام بالخطوط الحمراء الشرعية والأخلاقية والإنسانية ، ولكن ما أقبح وما أخزى ما يتذرع به المنافقون الأذلاء في عموم عالمنا ألإنساني . ولكي تكون العلاقات الإنسانية مبنية على الصدق والعدل والإحسان فإنّ كلّ إنسانٍ يستطيع أن يسأل نفسه بوعي وصدق ومسؤولية وهو : هل يصح الضغط على الصديق بارتكاب الحرام ؟!!! ، وهل يصح الضغط بارتكاب القبيح ؟!!! ، وهل يصح الضغط بأن يسير الإنسان بالاتجاه المُعاكس لأخيه أو صديقه بحسب التصور الوهمي لتعميق الخلاف وإثارة الفتن وتحريك المشاكل ؟ !!! ، وهل يصح من عاقل ومؤمن بأن يقبل على نفسه من أجل ممارسة الضغط على الصديق أن يبيع دينه وشرفه وكرامته للأعداء ويدخل مدخلهم ؟!!!، وإذا كان الإنسان مؤمناً عاقلاً فسيُدرك أنّ هذه الأمور هي ليست مقبولة شرعاً وعقلاً وعُرفاً ، لأنّ وسائل الضغط إنما تبدأ من وجود نافذة خط الرجعة ومن ثَمّ استعمال وسائل مشروعة للوصول إلى قلب الصديق وإعادة الثقة بصديقه من

جديد ، ولصعوبة زرع الثقة عموماً بين الناس ولكثرة النفاق وأرباب المصالح الذين يُريدون أن يستوعبوا جميع الناس من المؤمنين والمنافقين والمشركين والأصدقاء والأعداء لضعف عقولهم وفقدان تدينهم ، لذا هناك مَن يقول حينما يُسأل عن كثرة أصدقائه فإنّه يرفض وصف علاقاته بالصداقة لأنها أمرٌ عظيم يترتب عليها الكثير من المسؤوليات مما جعله يُجيب عن ذلك بكل ثقة وصراحة بأنّه : ﴿**ليس لي أصدقاء ولكن لي معارف وعلاقات**﴾.

ومن هنا ينبغي أن يُميّز الناس طبيعة علاقاتهم بجدٍ ووعي ومسؤولية لكي لا يقعوا في مصيدة النفعيين والجواسيس ودعاة الفتنة والنفاق والخيانة و.. ولكي لا يُحاطوا ببطانة ضعفاء الدِّين أو فاقديه أو حمقى أو جبناء أو بخلاء أو مرتزقة أو ممن يعبدون الله على حرف ، واعلم أنّه مَن خان غيرك ممن كان يَدَّعي صداقته فإنّه سوف يخونك ، وإنّه مَنْ غَدَرَ بغيرك فإنّه يغدر بكَ ، وإنّه مَنْ نافق على غيرك فإنّه يُنافق عليك ، وهذا هو حال المنافقين والغادرين والخائنين الذين لا يدينون بدين ولا يلتزمون بالأخلاق ولا يملكون المروءة وبالتالي فلا وزن لهم حقيقي في عالم الدنيا ولا في الآخرة .

رضا الناس غاية لا تُدرك

حينما نتكلم عن قناعات الناس سواء كانوا أصدقاء أم غيرهم نجدها مختلفة حول الشيء الواحد وذلك لاختلاف مراتب إدراكهم ومداركهم وتوجهاتهم وانتماءاتهم وطبائعهم النفسية والعرفية الحاكمة عليهم فنجد أن الأصناف من الفاسق والفاجر والمنافق والكافر يتنافرون مع المؤمن لوجود الاختلاف والتضاد والتناقض بينهما في الفكر أو المنهج أو السلوك أو في جميعها ولذا تظهر على الساحة العملية ردود أفعال متبادلة مليئة بالنقد والاعتراض والتسفيه وقد يؤدي ذلك أيضاً إلى النزاع والصراع ، وحينما حدَّدنا هذه الأصناف لأنَّ الناس مهما تنوعت اختلافاتهم في آرائهم ومدارسهم ومواقفهم وممارساتهم فإنَّ الأفراد منهم لا يخرجون في تسميتهم عن دائرة المصطلح الشرعي العام في تقسيمهم وتنويعهم إلى ما ذكرنا من أصناف ، ولا يقتصر الخلاف وعدم الرضا على مسائل الدِّين بل تشمل الجوانب الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية وغيرها من أمور الحياة التي يقع الخلاف والاختلاف بين أبناء صنف واحد ، ولذا لا نستغرب قضية عدم رضا الناس المتبادل بعضهم من بعض فإنَّ هذه السُنَّة متوارثة وثابتة منذ فجر التأريخ وإلى تقوم الساعة فقد قال تعالى [1]:﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ**

---

[1] - البقرة/٢١٣

النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فيه وَمَا اخْتَلَفَ فيه إِلَّا الَّذينَ أُوتُوهُ منْ بَعْد مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لمَا اخْتَلَفُوا فيه منَ الْحَقِّ بإِذْنه وَاللَّهُ يَهْدي منْ يَشَاءُ إِلَى صرَاط مُسْتَقيم ﴾ .

وقوله تعالى [1]: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلمَةٌ سَبَقَتْ منْ ربِّكَ لَقُضيَ بَيْنَهُمْ فيمَا فيه يَخْتَلفُونَ﴾.

فالاختلاف في الأفكار والطباع والأمزجة والمصالح ودخول الأوهام والخيالات عليهم هي دوافع كامنة تظهر آثارها على الواقع العملي فيحصل النزاع والصراع إن لم تخضع لضوابط شرعية وعقلية ، ومن هنا نجد التنافر والتحاسد والتباغض والتحارب بين الناس ليصطفوا فريقين ؛ فريق يؤمن بالدِّين من عقيدة وشريعة كمنهج حياة لا يتناقض مع كليات العقل القطعي كما يؤمن برموز رسالية معصومة يتفرع عنها علماء عدول ، وفريق يؤمن بالقوانين الوضعية التي هي من صنع الإنسان النابعة عن ادراكه القاصر أو المُقَصِّر أو بالرجوع إلى المصالح الخاصة ويؤمن برموز حركية تسعى نحو مكاسب دنيوية من المناصب والنفوذ والأموال ويعتمد لأجل تحقيقها على القوة والغَلَبَة والحيلة وشراء الذِمَم ليوفر تعبئة جماهيرية يستعين بها على الحكم وتنفيذ مصالحه .

إذن تحصل لدينا قناعة بوجود قاعدة وهي : أنَّ لكل إنسان قادح ومادح ، ولا يتخلص من هذه القاعدة الأنبياء والمرسلون والأوصياء بل نتعدى من ذلك إلى القول بأنَّ الخالق عزَّ وجل تشمله هذه القاعدة حيث يوجد من يؤمن به ويحمده ويُسَبِّحه ويُثني عليه ويرضى بقضاءه وقدره كما ويوجد مَن يكفر به أو

---

[1] - يونس /١٩ .

يعترض عليه .. ، ولذا فإنَّ رضا الناس غاية لا تُدرك لأنَّ قلوبهم شتى وكلما رضي فريق يسخط فريق آخر ولا يسلم الإنسان عن ألسن الناس لأنَّه من المُعجز الذي لا يُدْرَك والمُمْتَنع الذي لا يُمْلَك ، فإرضاء الخَلْقِ ليس بمقدور أيِّ إنسان كما أنَّه ليس بمأمور أن يُرضي جميع الخلق بل الواجب عليه إرضاء الخالق سبحانه لأنَّه أمر مقدور عليه ومأمور به شرعاً وعقلاً ، وقد أطبقت التجارب وتواترت الأخبار على أنَّ طلب رضا الناس من المحال ، وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] : ﴿**رضا الناس غاية لا تدرك**﴾ .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام)[2] : ﴿**رضا الناس غاية لا تُدرك فَتَحَرَّ الخير بجهدك و لا تُبَالِ بسخط مَنْ يُرْضيه الباطل**﴾ .

و روي ان موسى (عليه السلام) قال [3] : ﴿**يا رب احبس عني الْسِنَة بني آدم، فانَّهم يذموني ، قيل : فأوحى الله جل جلاله إليه : يا موسى هذا شيء ما فعلته مع نفسي، أفتريد أن أعمله معك ؟ فقال موسى : قد رضيت أن تكون لي أسوة بك**﴾ .

وروي ان لقمان الحكيم قال لولده في وصيته[4] : ﴿**لا تعلق قلبك برضى الناس ومدحهم وذمهم، فان ذلك لا يحصل ولو بالغ الانسان في تحصيله بغاية قدرته**﴾ .

ولذا ينبغي على العاقل أن لا يسعى خلف سراب لا يتحقق وهو رضا الناس مهما بلغ مجهوده في تحصيله ، وعليه أن يسلك طريق الخير والمصلحة

---

[1] - مجموعة ورام : ص١٩٢ .

[2] - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي : ج١ ص٣٠٥ .

[3] - بحار الأنوار للشيخ المجلسي : ج٦٨ ص٣٦١.

[4] - بحار الانوار للشيخ المجلسي : ج٦٨ ص٣٦١ .

التي فيها الحق والعدل ورضا الله تعالى ولا يلتفت إلى ما يقوله الناس لأنَ القضية لا تنتهي عند حدود ، كما لابد على الدعاة والمبلغين بل وسائر الناس أن يُمارسوا دورهم في جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرساء دعائم الحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وهذه مسلكية رسالية لا تمنع رزقاً عن المُبَلِّغ ولا تُقَدِّم له أجلا ولذا عليه أن يخشى الله تعالى ولا يخشى الناس ولا يطلب رضاهم بسخط الخالق تبعاً لرغباتهم وأهوائهم ومصالحهم ونفوذهم ، ولا يكون الداعية مورداً للبيع والشراء من قبل الناس فيخسر الله تعالى والناس ، وقد قال تعالى[١] : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾.

وقوله تعالى[٢] : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وقوله تعالى[٣] : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى[٤] : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

وخير مَن نقتدي ونتأسى به هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) حيث تحملوا الأذى والظلم والعدوان والسب واللعن من خصومهم المشركين والمنافقين بسبب أداء رسالة الله تعالى وطلب رضاه على الوجه الأكمل والأتم ، وهذا قدر لابد أن يتحمله كل عامل على الساحة الإسلامية الذي ينبغي عليه أن لا يخاف في الله لومة لائم ما دام يؤدي رسالة الله عز وجل ويقصد رضاه

---

١ - المائدة /٤٤ .

٢ - النور/٥٢ .

٣ - التوبة/٦٢ .

٤ - آل عمران/١٧٥ .

ويجتنب سخطه ، وهذه منهجية ينبغي أن يتعامل بها الأصدقاء للوصول بهم إلى المطالب العالية والأهداف السامية وينزعون عن أنفسهم التردد والخوف والأنانية حيث الارتباط بالله تعالى وطلب رضاه وهو غاية الغايات .

ولو يتأمل الإنسان قليلاً فإنّه يُدرك واقعاً بأنَّ الكثير من الناس لا يرضون على الله جلَّ وعلا ويغضبون على المعصومين من الأنبياء والأوصياء ، وإذا كان الحال بهذه الصورة فلا غرابة من العدوان على العلماء وسائر الناس وتتبع أحوالهم وخصوصاً إذا اختلفوا معهم في الرأي والمنهج والموقف من أجل توجيه النقد والإساءة إليهم ، ولذا قال الإمام علي (عليه السلام) [1]: ﴿**لا تبتهجن بخطأ غيرك فإنك لن تملك الاصابة أبدا - لا تتبعن عيوب الناس فإن لك عيوبا ، إن عقلت (ما) يشغلك أن تعيب أحدا**﴾.

وهكذا للأسف تجد الناس ينشغل بعضهم بعيوب بعض ويرصد بعضهم أخطاء بعض ويستعملون التشهير من أجل اسقاط سمعة الآخرين ولكن في تلك اللحظة ينسى هذا الظالم والخائن أنّه مليء بالأخطاء والعيوب وأنَّ للناس أعين تراه وألسن تنطق بعيوبه ، ولذا لا يبتهجن أحد ويفرح بأخطاء الآخرين لأنّه في يوم من الأيام سيقع أيضاً في الخطأ أو العيب لأنَّ لسانه ومسلكيته لا يُصيب الحق والشيء الحسن دائماً ، وعليه كما يُحب أن يستر عيوبه الناس فعليه أيضاً أن يستر عيوب الناس وأن يستعمل أخلاق الإسلام وطريقة أهل البيت (عليهم السلام) في تدارك ومعالجة أخطاء الآخرين وكذا ستر عيوبهم والتعامل معهم بمنهج العدل والانصاف وحُسن السيرة .

---

[1] - عيون الحكم والمواعظ للواسطي الليثي ص٥٢٣ .

اختبر صديقك

من الجدير بالاهتمام أن نفهم أنَّ معنى الاختبار هو الكشف عن واقع الإنسان من خلال فعل المكروه والشاق أو فعل المحبوب من الكرم والانعام لنستخرج ما عنده من خبر ليكون طريقاً إلى العلم بحقيقة ذلك الانسان ، وفرق بين الاختبار والابتلاء حيث أنَّ الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق فقط كما في قوله تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1] ، فيقتضي ذلك استخراج ما عند المبتلي من الطاعة والمعصية ، بينما الاختبار كما ذكرنا يكون بالمكاره والمشاق وكذا بالانعام على الآخر ، ولذا فالاختبار ليس قضية لَهْوِيَة وَعَبَثِية بل هو من الأمور الجادة التي ينبغي مراعاتها لتقييم مَن ترتبط به والتعرف على قابليته وأهليته للصداقة من عدمها من خلال ردود أفعاله وطبيعة استجابته لأنَّ العلاقة الحميمة بين الأصدقاء يتخللها الكثير من الحقوق والواجبات والأسرار والأمانات وما إلى ذلك ، وهذا يستدعي أن تحفظ حياتك في حصن حصينة سواء كانت نفسك أم عرضك أم مالك من أجل أن لا يتسلط عليها عناصر انتهازية ونفعية تتلبس بلبوس الصداقة كذبا وزورا وبالتالي يُصيبك الضرر وتعيش المعاناة والألم من حصول الغدر والخيانة ، فالمجتمعات اليوم يكثر فيها الفساد والانحراف والخيانة والتي تتحرك تحت مُسَمَّيات وعناوين كثيرة تتغطى بها لتضليل الناس وإيقاعهم بالفخ والمصيدة ،

---

[1] - هود/٧ .

وأخطر تلك العناوين هي التلبس بلباس أهل الدّين أو إدعاء التدين والإيمان والتقوى أو استعمال ألفاظ وعبارات ناعمة ورقيقة يشعر الناس منها بتواضعه وتذلله وخضوعه وتوده ، وتوحي تصرفاته لهم بالزهد والورع ، ويمشي بهدوء وسكينة ، ويُطلق لحيته ويحمل معه مسبحة ويتظاهر بالحب والولاء حتى يستمكن من قلوب وعقول الناس ليصل بهم إلى الإقرار له بالرئاسة والزعامة في حياته الاجتماعية والسياسية وغيرها ويستثمر ذلك في جهات حزبية أو دعايات انتخابية أو مجاملات مصلحية ، وما أن يُقال له اتقي الله تعالى في تصرفاتك فإنّه يغضب ويُكَشّر عن أنيابه ويرتكب الحماقات فيسعى للانقضاض على فريسته بأسلوب وحشي وحينئذ ترتفع الأقنعة وتظهر الوجوه على حقيقتها ، وهذه المظاهر أصبحت اليوم أكثر شيوعا من السابق لضعف المجتمع وتفككه وقلّة ايمانه وانفصاله عن العلماء الرساليين وتوارد الغزو بأنواعه على بلادنا الاسلامية ، وليس غريباً أو عجيباً أن يتحدث المعصوم (عليه السلام) منذ أكثر من ألف ومائتي عام عن هذه المسلكيات المنحرفة داخل المجتمعات عموماً وبيان خطورتها وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع بل على الدولة والنظام العام لأنَّ تلك المجتمعات كانت تُعاني أيضاً مخاطر هذه الانحرافات وبالتالي فإنَّ الأجيال تتوارث هذه السيرة فتكون بالخيار إمّا أن تسلك طريق التكامل والرقي بتجاوزها هذه الآفات الاجتماعية الهدّامة وإمّا أن تتقهقر أكثر إلى الوراء نحو الانحدار والتسافل بتمسكها بهذه المساوئ، ولذا كان المعصوم (عليه السلام) يُحَذّر منها ويدعوا إلى نبذها ويُرشد الناس إلى بناء علاقات إيمانية رصينة معتمدة على التجربة والاختبار حفاظاً على أواصر الصداقة الصدوقة التي لها ايجابياتها في الدنيا والآخرة ، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض

أصحابه [١] : ﴿**من غَضِبَ عليك من إخوانك ثلاث مرّات فلَم يَقُل فيك شراً ، فاتخذه لنفسك صديقا**﴾.

فالإنسان تنكشف نواياه عند الغضب وتظهر من خلال زلاّت لسانه أو مواقفه وتصرفاته ، فمن كان حليماً وصبوراً ومؤمناً لا يبوح بأسرار صديقه ولا يَقُل فيه شراً وإلا فإنّه لا يستحق هذه المرتبة الحميمة في العلاقة وهي الصداقة الصدوقة التي تدوم في الدنيا والآخرة ، فعن الحسين بن صالح قال : سمعت جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول[٢] : ﴿**لقد عظمت منزلة الصديق حتى أن أهل النار يستغيثون به، ويدعون به في النار قبل القريب الحميم ، قال الله مخبرا عنهم : (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ❖ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)** الكهف/ ١٠٠-١٠١ ﴾ .

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال[٣]: ﴿ **لا تسم الرجل صديقا سِمَة معروفة حتى تختبره بثلاث : تغضبه فتنظر غضبه يخرجه من الحق إلى الباطل ؟ وعند الدينار والدرهم ، وحتى تسافر معه**﴾ .

وأيضاً ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله[٤]:﴿**لا يعرف الناس إلا بالاختبار، فاختبر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فاقتك، وذا التودد والملق عند عطلتك لتعلم بذلك منزلتك عندهم**﴾.

وأيضاً يضع المعصوم (عليه السلام) بعض الموارد التي تكشف عن واقع علاقات الناس وحقيقة ارتباطاتهم من خلال ما رواه بريد العجلي قال[٥] : ﴿قيل لأبي

---

١ - تحف العقول لابن شعبة : ص٣٦٨ .

٢ - الأمالي للشيخ الطوسي : ج٢ ص١٩٥ .

٣ - الأمالي للطوسي : ج٢ ص٢٣٧ .

٤ - بحار الأنوار : ج٧٥ ص١٠ .

٥ - وسائل الشيعة للحر العاملي : ج٥ ص١٢١ .

جعفر (عليه السلام): إن أصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة فلو أمرتهم لأطاعوك واتبعوك، فقال(عليه السلام) : يجئ أحدهم إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته ؟ فقال: لا، قال(عليه السلام): فهُم بدمائهم أبخل ثم قال(عليه السلام): إن الناس في هدنة ناكحهم ونوارثهم ونقيم عليهم الحدود ونؤدي أماناتهم حتى إذا قام القائم جاءت المزاملة ويأتي الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ حاجته لا يمنعه﴾ .

والمزاملة تعني الرفاقة والصداقة الخالصة، مأخوذ من قولهم: زامله: أي صار عديله على البعير والمحمل فكان هو في جانب وصاحبه في الجانب الاخر، فهما سيان عدلان لا يستقيم ولا يثبت أحدهما الا بوجود الاخر، ولا يستقر المحمل الا بتوازنهما وتساويهما في الاثقال والازواد وغير ذلك .

وروي عن أبي محمد العسكري، عن آبائه (عليهم السلام) قال[1] : قال علي بن الحسين (عليه السلام) : ﴿إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه. وتماوت [2] في منطقه و تخاضع في حركاته، فرويدا لا يغركم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف بنيته ومهانته، وجبن قلبه، فنصبَ الدِّين فَخّاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره ، فان تمكن من حرام اقتحمه. وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويدا لا يغركم فانَّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة، فيأتي منها محرما، فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويدا لا يغركم حتى تنظروا ما عقدة عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله، فإذا وجدتم عقله متينا فرويدا لا يغركم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه، فكيف محبته

---

[1] - وسائل الشيعة للحر العاملي : ج٨ ص٣١٧ .

[2] - تماوت، أظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم.

للرئاسات الباطلة، وزهده فيها، فان في الناس من خسر الدنيا والآخرة يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلبا للرياسة حتى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ البقرة/٢٠٦ فهو يخبط خبط عشواء يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه، إذا سلمت له رياسته التي قد شقي من أجلها " فاولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا مهينا ". ولكن الرجل كل الرجل نعم الرجل، الذي جعل هواه تبعا لامر الله وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الابد مع العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضَرَّائها يؤديه إلى دوام النعم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سرَّائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسكوا، وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فانه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة﴾ .

ولذا فإنَّ هؤلاء الذين يصنعون الفخاخ للناس بعنوان الصداقة تجدهم يستعملون مختلف أنواع الشراك لإيقاع الناس في شباكهم الشيطانية ولكن ما إن يقعوا في الامتحان والاختبار وينكشف واقعهم الخياني الغادر فإنَّ صورهم الحقيقية تظهر وأساليبهم الوحشية تنهش لحوم الآخرين بوسائل متعددة فلا تُراعي حرمة لأحد لأنَّهم لا يؤمنون بالمبادئ والقيم وأحكام الشريعة إيماناً صادقاً بل يؤمنون بالمصالح وتحصيل المكاسب بالحيلة والغَلَبَة ، ومن هنا يقول

أبو عبد الله (عليه السلام) [١] : ﴿إن الذين تراهم لك أصدقاء، إذا بلوتهم وجدتهم على طبقات شتى : فمنهم كالأسد في عظم الأكل وشدّة الصولة، ومنهم كالذئب في المضَرّة، ومنهم كالكلب في البصبصة، ومنهم كالثعلب في الروغان والسرقة، صورهم مختلفة، والحرفة واحدة ما تصنع غدا إذا تُرِكْتَ فردا وحيدا لا أهل لك ولا ولد إلا الله رب العالمين﴾ .

والبصبصة [٢] : تحريك الكلب ذنبه طمعا وخوفا.

والروغان [٣]: طلب وأراد ، ومال إلى الشيء سرّاً .

وعن يحيى بن زيد قال[٤] : سألت أبي زيد بن علي (عليه السلام) : ﴿من أحق الناس أن يحذر ؟ قال : ثلاثة : العدو الفاجر، والصديق الغادر، والسلطان الجائر﴾ .

ولذا ينبغي أن تُبنى علاقة الصداقة مع عناصر تكون قد اختبرتهم وبلوتهم واطلعت على واقعهم وأن يكونوا من كرام الناس وليس من لئامهم ، فإنّ الاستعداد للصداقة موجود عند الكرام كما أنّ الشعور بالراحة والاستقرار حاصل معهم ، وقد روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ﴿أسعد الناس من خالط كرام الناس﴾ .

وقال الشاعر أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ولذا تجد من طباع الكريم الإيمان والإخلاص والوفاء والأمانة والإيثار

---

١ - بحار الأنوار ج ٧١ص ١٧٩: حديث رقم ٢٢ .

٢ - كتاب العين للخليل الفراهيدي ج٧ ص٩١ .

٣ - الصحاح للجوهري ج٤ ص ١٣٢٠ / مادة (روغ) .

٤ - بحار الأنوار ج ٧١ص ١٩٢: حديث رقم ١١ .

والشجاعة والتضحية وغيرها من الصفات الحسنة ، والشواهد التأريخية في بيان ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

شواهد فيها عِظة وعِبرة

الشاهد الأول : من الثابت أنَّ الصحابي حذيفة بن عتبة وقف في معركة بدر إلى جنب رسول الله (ﷺ) في حين أنَّ أباه عتبة وأخاه الوليد كانا في جهة المشركين المحاربين للإسلام والمسلمين ، ولم يتردد حذيفة في أن يُقاتل مَن هو قريب له نسباً وسبباً ، ومع ذلك منعه رسول الله (ﷺ) من المبارزة لقتال أبيه وأخيه إلى أن هلكا ، فأيُّ اختبار عظيم كان هذا ؟ !.

الشاهد الثاني : وأمّا موقف الزبير بن العوام في معركة الجمل حين خرج على أمير المؤمنين (عليه السلام) ونكث بيعته لمصالح ومطامع دنيوية معروفة ، فلمّا التقيا في البصرة قال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : كُنّا نعدّك من آل عبد المطلب حتى نشأ ابنك المشئوم (ابن السوء) ففرق بيننا وبينك . وقال له أيضاً : أتذكر يوم قال لك رسول الله (ﷺ) ستقاتل علياً وأنت ظالم له ، فقال الزبير : الآن ذكرت ذلك ، ولو ذكرته قبل اليوم ما خرجت عليك .

ويُروى أنّه أراد أن يعتزل المعركة إلا أنَّ ابنه عيَّره بالجبن والتخاذل حتى قُتِل في المعركة ، ويُروى أنّه اعتزل القتال من ساعته ومضى حتى انتهى إلى المكان الذي قتله فيه ابن جرموز ، وكلا الموقفين يؤديان به إلى الجحيم لأنَّ الخروج على إمام زمانه ومقاتلته جرم عظيم يستحق عليه نار جهنم ، كما أنَّ اعتزاله القتال وترك مناصرة الحق وهو قادر عليه يكون من الجرم العظيم أيضاً فيستحق جهنم وبئس المصير ، ولذا حين سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن طلحة

والزبير فإنّه قال : **إنّ الحق لا يُعرف بالرجال ، أعرف الحق تعرف أهله** . وهذا الموقف العدواني والتخاذلي من الزبير يكشف عن واقعه الضال والمنحرف .

الشاهد الثالث : وأيضاً نجد موقف محمد بن أبي بكر الرسالي حيث أنّه في معركة الجمل وقف إلى جهة الحق مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقابل اخته عائشة بن أبي بكر الخارجة على إمام زمانها وصاحبة الفتنة الكبرى ، وهذا يكشف عن واقع انتماء كل من الأخوين .

الشاهد الرابع : وأمّا موقف الحر بن يزيد الرياحي الذي جعجع بالحسين (عليه السلام) وأهل بيته الكرام وصحابته رضوان الله عليهم ، فحينما وصل الأمر إلى حدّ الخيار بين الجنّة والنار فإنّه لم يتنازل عن الإمام الحسين (عليه السلام) ابن فاطمة (عليها السلام) ورفض أن يخذله ويُنفذ أوامر الطغاة الأمويين ، فسار إلى الإمام (عليه السلام) واعتذر منه ، وقال له : هل لي من توبة ؟ قال له (عليه السلام) : إن تُبت تاب الله عليك .

وفعلاً قدّم نفسه قرباناً أمام الحسين وأهل بيته وأصحابه ليكسب رضا الله تعالى ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) ، فأبّنه الإمام (عليه السلام) بكلمات بعد استشهاده فقال له : يا حُر أنت حُرٌ في الدنيا وسعيد في الآخرة .

الشاهد الخامس : وهكذا حال أصحاب الحسين (عليه السلام) فقد اختبرهم عدّة مرّات وأعلمهم بأنّ المصير هو القتل والشهادة وقال لهم : لقد غشيكم الليل فاتخذوه جملا . أي اخرجوا من هذا المكان واستفيدوا من ظلام الليل فإنّ القوم يطلبونني ولا حاجة لهم بكم ، ففرّ جماعة ولم يبقى معه إلا المؤمنون ، الأوفياء ، الأصفياء ، المجاهدون ، المضحون ، العارفون بواقع الحسين (عليه السلام) ، وقد رفضوا الانسحاب وجاهدوا بين يدي الحسين (عليه السلام) حتى استشهدوا جميعاً ، وقد قال فيهم الإمام (عليه السلام) كلمات عظيمة في خطبته ليلة عاشورا

فقال : ﴿**أما بعد: فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي. ولا أهل البيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنى خيرا**﴾.

هكذا يقف الرجال المؤمنون الصادقون إلى جهة الحق من دون تردد أو خوف ، وهكذا هي اختبارات الرجال في مواقفهم أيام الشدّة والبلاء .

الشاهد السادس : وقد ورد أنَّ الحسين (عليه السلام) [1] صاح بعدما قتلوا أصحابه وأهل بيته وقد أثخن بالجراحات : **ويحكم يا شيعة الشيطان (آل أبي سفيان) إن لم يكن لكم دين و(كنتم) لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا (في دنياكم هذه) وارجعوا الى أنسابكم (أحسابكم) إن كنتم أعرابا (عربا) كما تزعمون ، أنا الذى أقاتلكم فكفوا سفهاءكم وجهالكم عن التعرض لحرمي فان النساء لم يقاتلنكم فقال الشمر لأصحابه : كفوا عن النساء وحرم الرجل واقصدوه في نفسه .**

إنَّ كلام الإمام الحسين (عليه السلام) لجيش يزيد : **إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد** ... ، إنَّما هو إقرار منه (عليه السلام) بأنَّهم ليس لهم دين ولذا أراد أن يتدرج معهم في الخطاب إلى مراتب متدينة عن الدِّين وهي الحرية ولكنهم أيضاً لا يملكونها لأنهم عبيد للطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان حفيد هند آكلة الأكباد الذي وعدهم بهدايا ومنح وإمارة الري وغيرها فباعوا دينهم وحريتهم له ، وإنَّهم لو كانوا أحراراً لعادوا إلى أنسابهم وأحسابهم والتي ينبغي أن تكون عربية تحمل صفات الكرم والغيرة والحمية ولكنهم لم يكن يحملوها ، ولذا قتلوا الكبار والصغار ومثّلوا بأجساد الشهداء وهجموا على النساء وباقي الأطفال وحرقوا خيمهم وطاردوهم وسلبوهم وأسروهم

---

[1] - كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي ج٢ ص٢٦٢ . اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس ص٧١ .

(سبايا) وهم أبناء رسول الله (ﷺ) ، وهكذا تجد التأريخ يُعيد نفسه في كل زمان ومكان ولكن الوجوه والأسماء تتغير ، فأيُ ظلم وعدوان يرتكبه الطغاة بحق العناصر المؤمنة الرسالية على طول الزمان .

الشاهد السابع : عن مأمون الرقي قال [١]: كنت عند سيدي الصادق (عليه السلام) إذ دخل سهل بن الحسن الخراساني فسلم وجلس وقال : ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه ؟ ! وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف ؟ ! ، فقال له (عليه السلام) : إجلس يا خراساني رعى الله حقك، فأمر أن يسجر التنور، ثم قال : يا خراساني قم فاجلس في التنور، فقال: يا سيدي لا تعذبني بالنار، أقلني أقالك الله. قال (عليه السلام) : قد أقلتك. فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي، ونعله في سبابته ، فقال له الصادق (عليه السلام) : ألق النعل ، واجلس في التنور، فألقى وجلس في التنور، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال : قم يا خراساني وانظر ما في التنور، فقام إليه فشاهده متربعا، فقال (عليه السلام): كم تجد بخراسان مثل هذا ؟ فقال: والله ولا واحدا، فقال (عليه السلام): أما إنا لا نخرج في زمان لا تجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت.

الشاهد الثامن : وفي قصة بشر الحافي [٢]: كان في أول أمره يشتغل بالملاهي والمناهي ثم وفقه الله تعالى فتاب على يد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ففي كتاب منهاج الكرامة أن الكاظم (عليه السلام) اجتاز على باب دار بشر فسمع منها الغناء واللهو ورأى على باب الدار جارية فقال لها : أيتها الجارية مولاك حر أو عبد ؟ فقالت : حُرٌ ، فقال لها : صدقت ، لو كان مولاك عبدا لعمل

---

١ - مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي : ج١٠ ص ٥٣٤ .

٢ - أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : ج٣ ص٥٧٩ : في مجالس المؤمنين .

بمقتضى العبودية وخاف الله تعالى ، فذهبت الجارية إلى داخل الدار وأخبرت بشر بذلك ، فأثَّرَ فيه هذا الكلام وكان سبب هدايته ، وخرج حافيا إلى خارج الدار وجعل يركض خلف الإمام حتى وصل اليه فوقع على قدميه وتاب على يده وأناب وبقي حافيا طول عمره .

وصار بشر من العلماء الذين يُشار إليهم بالبنان وقد أثّرت فيه كلمة بسيطة ولكن ما بال الناس اليوم لا تؤثر فيهم الخُطب والمواعظ والنصائح والمحاضرات والكتب والعلاقات ، ولكن نقول : إنا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الشاهد التاسع : (الشاعر) : أبو الحسن جمال الدين بن أبي محمد الخليعي الموصلي الحلي، شاعر أهل البيت (عليهم السلام) المفلق، نظم فيهم فأكثر، ومدحهم فأبلغ، ومجموع شعره الموجود ليس فيه إلا مدحهم ورثائهم، كان فاضلا مشاركا في الفنون قوي العارضة، رقيق الشعر سهله، وقد سكن الحلة إلى أن مات في حدود سنة ٧٥٠ هـ ودفن بها وله هناك قبر معروف. ولد من أبوين **ناصبيين** ، وأنّ أمه نذرت أنها إن رزقت ولدا تبعثه لقطع طريق السابلة من زوّار الإمام السبط الحسين (عليه السلام) وقتلهم ، فلَمَّا وَلَدَت (الخليعي) وبلغ أشده ابتعثته إلى جهة نذرها ، فلما بلغ إلى نواحي (المسيب) بمقربة من كربلاء المشرفة طفق ينتظر قدوم الزائرين فاستولى عليه النوم واجتازت عليه القوافل فأصابه القتام الثائر فرأى فيما يراه النائم إن القيامة قد قامت وقد أمر به إلى النار ولكنها لم تمسه لما عليه من ذلك العثير الطاهر فانتبه مرتدعا عن نيته السيئة، واعتنق ولاء العترة، وهبط الحائر الشريف ردحا. وعندئذ نظم بيتين :

اذا شئت النجاة فزُر حسينا ... لكى تلقى الاله قرير عين

فانّ النار ليس تمس جسما ... عليه غُبَار زوّار الحسين

الحرية الشخصية وحدود الصداقة

اختلف الباحثون في تعريف الحرية الشخصية ، فمنهم مَن عرَّفها من خلال معرفة الضِدِّ منها وهي العبودية أي : (الرق) ، ومنهم مَن حدَّدها بالعدل والانصاف ، ومنهم من فسَّرها بحرية تصرف الفرد من دون قيد أو شرط ، ومنهم من جعل اتخاذ القرار أو تحديد أيِّ خيار من دون جبر أو ضغط خارجي ، ومنهم مَن قال بأنَّها التحرر من القيود التي تُكبِّل طاقات الانسان وانتاجه سواء كانت قيوداً مادية أو معنوية ، وغيرها من التعريفات التي لا تسلم جميعها عن النقد لأنَّها غير جامعة لكل أفرادها كما أنَّها ليست مانعة من دخول الأغيار عليها ، فهي قاصرة عن تحديد مفهوم الحرية الشخصية تحديداً صحيحاً ، كما أنَّ دعاة هذا المفهوم من الغرب وأتباعهم يتصرفون بحسب الواقع بما يمنع الفرد من استعمال هذا الحق لأنَّهم يضعون ضوابطاً وقيوداً بشرية صنعها الحُكّام والدول لتحديد الحرية بدعوى حفظ النظام وفرض الأمن ومنع الفوضى وغيرها من الأسباب التي تحفظ الحكومات العالمية بها على كيانها ومصالحها بالرغم من كونها تُعَد بالمراتب المتقدمة في تطبيق ما يُسمَّى بالديمقراطية والحرية .

إذن الحرية الشخصية بالمفهوم الغربي عبارة عن كذبة وفقاعة جوفاء لا أساس لها في عالم التطبيق سوى أنَّها نظريات غير قابلة للتطبيق ولكنهم يعتمدون تصديرها إلى الشعوب الأخرى وفرضها عليهم بوسائل متعددة لكي

يستفيدوا من نتائجها الفوضوية في مختلف المجالات السياسية والاعلامية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وغيرها في حين نجد أنّ الدول العظمى تضع شبكات تجسس على شريحة الهاتف والانترنت وجميع وسائل الاتصال والتخاطب والاعلام بل حتى بطاقات الائتمان والجواز الرسمي واستمارة معلومات السيارات وكروت الائتمان البنكية وتجعلها وسيلة متابعة ومراقبة أمنية حديثة تُقيِّد حركة الفرد ويكون تحت النظر والرصَد بل يمنعون ويُحاربون بعض الصُحف وكذا القنوات الفضائية والمؤسسات التجارية وغيرها ، فأين الحرية الشخصية في سريّة المعلومات وحركة التعاملات سواء كانت في الحديث والتخاطب والاعلام أو بصمة الابهام وغيرها أو الحركة والتنقل أو البيع والشراء أو التظاهر والمعارضة أو الاضراب وهكذا سائر التصرفات الحياتية لأنّها تصبح مكشوفة ومسجلة لدى الأجهزة الأمنية وعملائهم النافذين لدى السلطة وبالتالي تُتخذ الاجراءات الأمنية بحقهم ، وهكذا تنعدم الخصوصيات والأسرار وكل ما يتعلق بذات الإنسان وتنكشف أوراق الناس جميعاً وحينئذٍ لا تُمَثِّل لهم قوانين الحريات إلا الزيف والدجل ، وصار الغرب تحت ذريعة تصدير الحرية والديمقراطية والعولمة وملاحقة الارهاب من خلال نظام أمني عالمي يقوم بالغزو والحرب على الدول والشعوب واستعبادها ونهب خيراتها وتفكيك مجتمعاتها وسلخها عن مبادئها وقيمها وأخلاقها ودينها ليكون الشعب حُراً ومُحَرَّراً بالمفهوم الغربي وثقافته ، فصار الإستعباد والقهر يُمثل الحرية والتحرر بنظر الغرب اتجاه الشعوب الأخرى وإلى غير ذلك من المفاهيم المغلوطة في طرحها واستعمالها .

في حين أنّ الإسلام دعى للحرية ولكن ليس باسلوبها الفوضوي كما أنّه أكّدَ على النظام ولكن ليس باسلوبه الاستبدادي والاستعبادي لأنّه قرّر حرية

الإنسان منذ ولادته إلا أنَّ الناس استعبد بعضهم بعضاً فأخذ القوي يستعبد الضعيف والغني يستعبد الفقير طغياناً واستكباراً ، ولَّما خلق الله الإنسان ومنحه الحرية قطعاً وجعلها في صميم كينونته فلا يحق لأحدٍ أن يسلبها منه إلا بإرادة إلهية ثابتة وفق نظام عادل وآليات وقوانين اجرائية صالحة ، ومن هنا نهض الاسلام بأعباء رسالة عظيمة لتحرير العباد من عبودية البشر إلى عبودية الله الخالق العظيم ومن ثَمَّ ضمن لهم الحرية الشخصية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ومنحهم إرادة حُرَّة وجعل لهم السلطنة على أموالهم وأنفسهم كما وضمن لهم حقوق الملكية وسائر التصرفات في إطار نظام ودستور عام يكفل العدالة للجميع ، كما وحثَّ الإسلام على التدبر والتعقل والاجتهاد وحرية الرأي في حدود منظومة علمية ذات أسس وقواعد ثابتة وأدلة قطعية وبرهانية وليست عبثية وسفسطائية ، ولم يكن هذا وأمثاله إلا مظهراً للحرية الشخصية في الإرادة والإختيار واتخاذ القرار ليتحمل الإنسان مسؤولية انتمائه وتوجهه وولائه وقراره ، كما وكفَلَ لهم حرية اختيار الدِّين والمعتقد مع بيان عاقبة كُل من الاختيار السيء والحسن كما في قوله تعالى [1]: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ ، وقوله تعالى [2]: ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾، وأباح لهم الخالق عزَّ وجل مطلق التصرفات على أن لا تتنافى مع ما يُقِرُّه العقل والشرع ، وحفظ أيضاً كرامتهم وعزَّتهم وما إلى ذلك من حرية شاملة ولكن لو خالف الإنسان تلك الحدود الطبيعية فإنَّ الأثر الشرعي والوضعي يلحقه سلباً في الدنيا

---

[1] - الكهف / ٢٩ .

[2] - الكافرون / ٦ .

والآخرة كمَن يختار بحريته شرب السُم أو الخمر والمخدرات فإنّه يؤثم وأيضاً يتضرر أو يموت ، وبعدها أخذ الشارع المُقدّس يتدرج مع الشعوب لمعالجة ظاهرة العبيد والإماء المستحكمة في قوانين العالم أجمع حتى وضع أحكاماً شرعية يتم من خلالها تحرير العبيد ومنح الأجر الأخروي لكل من يعتق عبداً بل هناك بعض الذنوب لا يصح التكفير عنها إلا بتحرير رقبة مؤمنة أو اطعام ستين مسكيناً أو كسوتهم ، وصار المؤمنون الأغنياء يتسابقون لتحرير العبيد وكان النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) خير قدوة وأسوة في منح الحريات للعبيد قربة إلى الله تعالى وإرشاد الناس إلى ذلك.

إذن الحرية الشخصية يُمكن توضيحها بأنّها تنظيم الفرد على اعتماد أسس عقلية وشرعية في ممارسة حقوقه وتأدية واجباته وتحديد خياراته واتخاذ قراراته وتصرفاته من دون تفويض له مطلق لكي لا يكون فوضوياً فيعتدي على نفسه والآخرين أو جبر مُطبق لكي لا يكون فاقداً للإرادة ويسقط عنه الثواب والعقاب ، فيتحمل الإنسان عاقبة خياره في الدنيا والآخرة بالنسبة للأحكام الإيمانية والشرعية والأحكام الوضعية على أن يُدرك الإنسان أنّ فرديته ينبغي أن لا تُخرجه عن نظام الجماعة ، كما ينبغي على الجماعة أن تحترم فرديته وخصوصيته .

ومن هنا نعلم أنّ الحرية الشخصية إذا لم تكن مسؤولة وتخضع لضوابط وموازين عامة تكون قد دخلت إلى عالم الفوضى والفساد وإذا قُيّدت الحرية بقيود بأكثر مما ينبغي لها فحينئذٍ تَفْقُد التوازن والاعتدال ويكون قد خرج الانسان إلى عالم الاستعباد وكلا الأمرين لا يُمثلان الحرية الشخصية ولذا لابد من مرجعية واقعية تُدْرِك كُنْه هذا المخلوق وطبيعته وتعلم بطاقاته وقدراته وبكل تفاصيله حتى تمنحه فسحة من الحرية في مقابل جزء من التكليف في

عملية متوازنة تنسجم مع طبيعته الإنسانية ، وحتماً أنَّ هذه المرجعية لا تكون بشرية لأنَّها إمَّا أن تكون قاصرة أو مقصرة كما هي حال النُظم الوضعية المتعددة والمتغيرة باستمرار من سيء إلى أسوء أو في عملية تدريجية وتجريبية يذهب من أجل تطويرها ضحايا كثيرة من البشر وينكشف زيف ما كانوا يؤمنون به ويعملون عليه بالأمس وخطورة ما يُغامرون به اليوم تحت مناهج ونظريات ونُظم تجريبية ، وإذا ما اعتقدوا أنَّهم يقتربون من الحقيقة فإنَّهم مع ذلك يُخطئوا في التطبيق والممارسة أو يرتكبوا الخطيئة والانحراف والفساد بمختلف أنواعه ، ولذا لابد أن تكون المرجعية في تحديد مفهوم الحرية الشخصية وأمثاله إلى مَن يتصف بكونه عالما وعادلا وقادرا ومريدا وغنيا بنحو مطلق ولا يتصف بذلك إلا الله تعالى الخالق العظيم الذي يضع النظام المناسب لمخلوقاته تكويناً وتشريعاً لعلمه بما يُصلحها ويُفسدها ولذا هو مَن يُحدِّد للإنسان عدوه من صديقه وجهة الموالاة والبراءة والهداية والضلالة والانتماء الصالح والطالح والصحيح والفاسد والضار والنافع ببيان الحدود والصفات والشرائط ، ويجعل له مقداراً من الحرية تنسجم مع خِلْقَته وقابليته ونظام علاقاته بحيث لا ينفلت إلى جهة الطغيان ولا ينكمش إلى جهة الاستضعاف ليُمارس حريته باعتدال بمقدار حاجته الطبيعية التي يكتفي بها الإنسان السوي متجاوزاً تأثيرات الدولة والحُكم وتعدد خطاباتها ومواقفها ومصالحها وطبيعة توجهاتها الأيديولوجية لكي يُثبت وجوده الإنساني وطبيعته الحُرَّة ومواقفه المُعبِّرة عن فكره وإرادته بلحاظ أنَّ الإنسان كفرد أساس المجتمع وأنَّ النُظُم القائمة إنَّما هي لخدمته ورعاية مصالحه وليس العكس كأن يكون الفرد خادماً للدولة وعبداً لها لا يقدر على شيء فيتبنى مطلقاً ما تعتمده الدولة فهذا يتنافى مع طبيعته الإنسانية الحُرَّة إلا إذا كان معتقداً بها ومتبنياً لمواقفها وسياستها

وثقافتها بحيث يكون جزءاً من مشروع السلطة ، ولكن لَما يخرق الإنسان هذه القواعد والمقادير والنُظم فإنَّه يشذ عن مساره الإنساني ليدور في فلك الإفراط والتفريط فيظهر حينئذٍ إلى الساحة الطاغي والمستضعف والحُر والعبد ، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة في جهة من يستضعف نفسه : **و لا تكن عبد غيرك و قد جعلك اللّه حرّا** ، وقد قيل في جهة من يسلك طريق الطغيان : **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً** .

ولذا فإنَّ الخَرْقَ قد يحصل من إنسان يؤدي به إلى العصيان والطغيان فيقوم باستضعاف الآخرين بسلطة القوة والحيلة ، وقد يحصل الخرق من إنسان يذل نفسه ويستصغرها ويكون ضعيفا أمام المغريات ويكون عبداً لغيره من الناس فيُمَكِّنَه من نفسه ليصبح طاغياً عليه وعلى غيره ، ولذا يسلب هذا الطاغية خيْرَ عبيده بمختلف الوسائل فتكون في عبوديته الذل والقهر ، في حين أنَّ العبودية لله تعالى عزٌّ وشرف حيث يأخذ العبد خَيْر سيده ، ولذا تكون العبودية عندها عبودية سيادة وفخر .

ولا يوجد في هذا العالم أبلغ رأياً وأفضل طرحاً مما طرحه الإسلام في الحرية واحترام حقوق الإنسان في مختلف أبواب التشريع قولا وعملاً وفي الخطابات والممارسات السياسية والاعلامية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وعَوْداً على بدء نقول : لَما اتضحت الصورة الاجمالية لمفهوم الحرية الشخصية فإنَّ هذا لا يعني وجود منافاة بينها وبين الإلتزام بحدود الصداقة باعتبار أنَّ الصديق لايملك اتجاه صديقه تحت اطار الصداقة مطلق الحرية لأنَّه إذا ما تجاوز تلك الحدود تحت مقولة : (**أنا حُر**) ، فإنَّه يخرج عن واقع الصداقة إلى عنوان آخر يتناسب مع طبيعة أعماله ، نعم للإنسان مطلق الحرية في تحديد علاقاته ابتداءً ليكون صديقاً أو أخاً كاشراً أو عدواً للآخر ولكن ليس له

الحرية في حمل عنوان ما كالصداقة في علاقته مع الآخر وهو لا يلتزم بحدودها لأنَّ الواقع يفرض نفسه مهما تلبَّس الأدعياء بلباس يتقمصونه كذبا وزورا ، ولذا يكتسب الإنسان عنواناً لعلاقته مع الآخر بلحاظ ما يتصف به من فكر ومنهج وموقف ، ولذا فإنَّ الله تعالى لم يخلق الدنيا وما فيها لهواً وعبثاً ولم يجعلها فوضى بل جعل لكل شيء حدّا وفق نظام دقيق كوني وتشريعي ثُمَّ خيَّر الإنسان في النظام التشريعي بين أن يلتزم طريق الإيمان والاتباع أو طريق الكُفر والعصيان وفق حسابات عادلة ينال فيها المرء استحقاقه تبعاً لاختياره بعدما أرشدهم الخالق وبَيَّنَ حقيقة كُل من الطريقين وأثرهما على الإنسان في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى [1]: ﴿ **أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ❖ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ❖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ❖ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ أي الطريقين .

وقوله تعالى [2]: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ❖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ❖ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾.

وتوجد في المسيرة الإنسانية الكثير من المواقف تعكس واقع علاقة الإنسان بربِّه أو بأخيه الإنسان كفرد أو مجتمع لتكشف مواقفه العنوان الحقيقي الذي يتصف به من جهة ايمانية كعنوان المؤمن أو الفاسق أو المنافق أو المشرك أو الكافر أو من جهة اجتماعية كعنوان الصديق أو الأخ الكاشر أو العدو .

---

[1] - البلد / ٧- ٨- ٩- ١٠ .

[2] - الكهف / ٢٩- ٣٠- ٣١ .

خاتمة

إنَّ العلاقات القائمة بين الناس من السنن الاجتماعية الطبيعة التي لا يستغني عنها الإنسان بأيِّ حال لأنَّها ترتبط معه في تفاصيل نُظمه الحياتية ولكن يطرأ عليها الاختلاف بفعل الممارسات المتنوعة من فرد إلى آخر والتي على أساسها يتم تصنيف الناس في علاقاتهم إلى أصناف متعددة حسنة وسيئة كما ذكرنا ، ولهذه العلاقات البشرية آثار خطيرة على المستوى الدنيوي والأخروي ينبغي على الإنسان التنبه لها خشية الوقوع في المحاذير التي تؤدي به إلى المفاسد والعواقب الوخيمة ، ولذا لابد من مراعاة النظام في أداء الواجبات وحفظ الحقوق في حركة متبادلة مع الآخرين لكي يسلك الجميع طريق السلامة ويتم بذلك حفظ العلاقة في الدنيا والآخرة لأنها مبنية على الصدق والاحترام ، ولَما كانت العصمة منحصرة في الأنبياء والأوصياء فإنَّ علاقات سائر الناس يُمكن أن تشوبها الأخطاء والمظالم الناجمة عن أسباب كثيرة كالسهو والنسيان والجهل والضعف والعصيان ... ولا يختص هذا بمجتمع دون آخر ، ولو بحثنا في مجتمع الصحابة أفراداً وجماعات في عصر الرسول (ﷺ) وما بعده فإنَّهم لا يخرجون عن الخطاب القرآني في تصنيفهم إلى المؤمن والمنافق والفاسق والفاجر والباغي والجاهل والعالم و... وبهذا التصنيف لابد من فرزهم وتقييمهم وفق نظام عادل يعزل المُحسن عن المسيء والمطيع عن العاصي و... وتنكشف حينئذ طبيعة العلاقات وأهدافها وبالتالي يترتب على هذا الفرز

تطبيق مبدأ الموالاة والبراءة لأنَّ وجود التنوع والتصنيف فيهم إلى درجة الاختلاف بل التناقض كسائر المجتمعات الأخرى حيث الطبيعة البشرية المختلفة في أفرادها ومجتمعاتها وشعوبها في جهة إيمانها وولائها وثقافتها وأعمالها بما يلزم معه اختلاف الحكم عليهم تبعاً لذلك ، وهذا ما قرّره النقل والعقل ، وبه نكون قد حكمنا بالعدل والإنصاف في عملية التقييم والفرز وابتعدنا عن الوهم والخلط الذي يبخس الناس حقوقهم ويوقعهم في جهالة وظلم بمساواتهم بين العالم والجاهل ، والمؤمن والمنافق ، والعادل والظالم ، والولي والعدو ، والصاحب والصديق ، وقوي الإيمان وضعيفه ، والمُتيقن والشاك ، والوفي والخائن ، والمُحب والمُبغض والداخل في الإسلام طوعاً أو كرهاً أو طمعاً.. وبهذا لا يُمكن التسوية في العلاقات بين هذه الأصناف والحكم عليهم بدرجة واحدة والتعامل معهم بطريقة متساوية .

ولذا فإنَّ النظام الإسلامي يُقيِّم العلاقات سواء كانت بين عوام الناس أنفسهم أم بينهم وبين قادتهم الشرعيين من رسول أو إمام أم علاقتهم بخالقهم وفق تشريعات عادلة يتم على طاعتها أو مخالفتها التقييم والاستحقاق المناسب .

ومن هنا لابد أن يَعْتَبِر الناس من مجتمع الصحابة وغيره في فهم العلاقات الصادقة المبنية على التقوى والعلاقات الضعيفة أو المزيفة لمراجعة أنفسهم ومحاسبتها وتحديد مواقفهم والتزاماتهم وولاءاتهم لكي يؤهلوا أنفسهم ويكونوا أصحاء فيندمجوا في مجتمعاتهم بمصداقية ومكاشفة ويرتقوا إلى الإيمان والتقوى ، وليعلم الجميع أنَّ صلاح الأفراد والمجتمعات والشعوب والأنظمة هي رحمة للجميع كما أنَّ فسادهم وانحرافهم يُشكِّل نقمة وخطراً كبيرا على الأسرة والمجتمع والأمَّة ، ولذا مَن لا يهتدي منهم تكون الرحمة والنجاة في

طردهم وفقدانهم وترك التعامل معهم ولا يُعَدُّ ذلك خسارة على الأمَّة وبهذا قال تعالى[١] : ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى[٢] : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ولكن للأسف أنَّ كثيراً من الناس لا يُميِّزوا بين أصناف الناس فيخلطوا في ولاءاتهم من دون رعاية للوظيفة الرسالية بين العادل والظالم والمؤمن والمنافق والجلاّد والضحية ويُعطّلوا حقائق القرآن والسُنَّة في الفرز والتقييم ويجعلوها وراء ظهورهم رعاية لمصالحهم الدنيوية ورهاناتهم الخاسرة وعصبياتهم الجاهلية فيعتمدوا لأنفسهم اتجاهات وخطوط ومسلكيات متناقضة ومعايير مزدوجة وكأنَّهم يتعاملون بقلبين في إشارة إلى نفاقهم وانحرافهم عن الخط المستقيم لأنَّ الله تعالى قد جعل لكل واحد قلباً لا يستوعب فيه طرقاً متناقضة وإلا خرج عن الاستقامة ، فقال عزَّ وجل[٣]: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ، بل جعل له قلب واحد ينبغي أن يسلك به طريق الحق والعدل والاستقامة ولا يصح منه أن يستعمله وفق معايير مزدوجة فيخرج عن جادة الحق من خلال أساليب متعددة ومتنوعة ومتناقضة فيدَّعي الحُب والولاء للأطراف المتناقضة والمتحاربة !، وهذه المجتمعات المتأخرة هي مشابهة للمجتمعات المتقدمة وصولاً إلى مجتمع الصحابة بل إلى صحابة عموم الأنبياء

١- المائدة/٢٦ .

٢- المائدة/ ٥٤.

٣ - الأحزاب/٤ .

كما بَيَّنه القرآن الكريم في قصصهم ، وهذا ما أشار إليه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فعن أبي سعيد الخدري قال [١] : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):﴿**لتتبعن سنن بني إسرائيل شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخل رجل من بني إسرائيل جحر ضب لتبعتموه**﴾ .

وقال (صلى الله عليه وآله)[٢] : ﴿**والذى نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**﴾ .

ونفهم من ذلك كُلّه أنَّ الصُحبة الهامشية لا يرقى بها الإنسان مع أصحابه إلى مستوى الصُحبَة الحسَنة أو الصداقة ، بخلاف مَن يرقى بنفسه ويؤهل صُحبته إلى المستوى المطلوب لتحصيل الصُحبَة الحسَنة أو الصداقة في علاقاته فيلتزم بشروطهما وضوابطهما ولا يخرج عن حدودهما فينال شرفهما ورتبتهما من دون تقييدهما بزمان أو مكان أو كيفية خاصة ، ولذا قد تنشأ هذه العلاقة بين اثنين أو أكثر في حالات الشدَّة أو الرخاء وفي مُدَّة زمنية طويلة أو قصيرة وبمعاشرة أو من دونها ، فنجد حصول العلاقة الحَسَنَة في لحظات قليلة طارئة وحرجة كما هو موقف الحُر بن يزيد الرياحي الذي أوقف الحُسين (عليه السلام) وجعجع به وحاصره في الطريق ومن ثمَّ صحبه حتى وصل به إلى كربلاء فكان الحُر بن يزيد بالخيار في موقفه اتجاه الحسين (عليه السلام) بين موالاته ومعاداته والصُحبَة الحسَنَة والسيئة والحق والباطل والهدى والضلال والجنة والنار ولكنَّ الله تعالى هداه إلى الحق والعدل والصُحبَة الحسَنَة حتى صار كباقي أصحاب الحسين (عليه السلام) يستأنس بالموت لإيمانه الصادق بأنَّه الطريق إلى الجنة ، وقد أسقط (الحُرُّ) من حساباته كل المعايير الدنيوية الزائلة والذرائع الوهمية التي

---

[١] ـ المصنف للصنعاني : ج١١ ص ٢٦٩ باب سنن من كان قبلكم رقم ٢٠٧٦٤، وكذا في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري : ج٤ص٤٥٥ .

[٢] ـ الجامع الصحيح للترمذي : ج٣ ص ٣٢٢ : ١٦ - باب لتركبن سنن من كان قبلكم رقم ٢٢١٧ .

يُمكن أن يتذرع بها الموظف المأمور والمرتزق المأجور والبغاة الظالمون كعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وأمثالهم من كونه قائداً للجيش وعليه تنفيذ الأوامر من دون مناقشتها أو أنَّه لا يقوى على مخالفة أوامر الحاكم الظالم أو أنَّه يضعف أمام مغريات الحياة وما تُقدمه له من المناصب العالية والجوائز الثمينة حينما يمتثل أوامر الحاكم الطاغية أو يصف داعي الحق بأنَّه خارجي فيقلب الحق باطلا والباطل حقاً وما إلى ذلك ، ولكن نجد أنَّ الحُر الرياحي (رحمه الله) قد أعطى في موقفه الرسالي درساً وموعظة شريفة لأحرار العالم لأنَّه فرَّقَ بين الحق والباطل ووضع حاجزاً بينهما ورسم خطوطه بدمه ولم يراوغ على حساب دينه بخلاف عمر بن سعد بن أبي وقاص وأمثاله الذي باع دينه بولاية الرَي جزاءاً لقتل الحُسين (عليه السلام) ريحانة رسول الله وسبطه وسيد شباب أهل الجنة ، وهذه سيرة وثقافة جاهلية شيطانية اخترقت جَسَد الأمَّة فصار أتباعها لا يُميزون بين الحق والباطل وبين العدل والظلم وبين المؤمن والمنافق وبين الحسن والقبيح فيقولون سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) وسيدنا علي (عليه السلام) وسيدنا معاوية وسيدنا الحسين (عليه السلام) وسيدنا يزيد وسيدنا فلان وفلان وفلان فيتساوى عندهم نبي الرحمة والإنسانية الذي يجب إتباعه وموالاته وكذا الإمام الهاد الذي يجب الانقياد إليه مع الصحابي الباغي الضال المنافق الذي يجب عليه أن يكون تابعاً لهما ومطيعاً لأمرهما ، ولكنَّ كثيراً من الناس قد صادفهم نفس موقف الحُر بن يزيد إلاّ أنَّهم اختاروا يزيداً على الحسين (عليه السلام) واختاروا الباطل على الحق واختاروا جهنم على الجنة ، ولا زال الناس تواجههم هذه المواقف وتمرُ عليهم هذه اللحظات ولكنهم يتخذون موقفاً سلبياً ، نفاقياً ، تخاذلياً ، جباناً ، خيانياً ، عدوانياً ، فيعتزلون ويقفون متفرجين بل منهم من يعمل على موالاة أعداء الله تعالى ومحاربة أولياء الله تعالى ، مع أنَّ العقل

والنقل والضمير الإنساني الحُر يُخيّرهم بين سلوك الحق وسلوك الباطل ولكن ضعف إيمانهم وخبث سريرتهم وتخاذلهم عن نصرة الحق تكون ثغرة يستغلها الشيطان فيُزيّن لهم عمل القبيح تحت ذرائع واهية فيدفعهم إلى موقف خطير على المستوى الشرعي والاجتماعي فينقلبوا ويختاروا العمل مع الباطل أو يحضروا مجالسه ومناسباته مع مودته وتوقيره والتطبيع معه أو يعملوا على المراوغة والدجل فيَصحَبُوا أرباب الحق والباطل من دون أن يلتزموا موقف الحق ومتطلباته كما لا يهتموا لمشاعر أصحابهم بل ولا يُبالوا لحقوق المظلومين والمستضعفين وضوابط العقيدة والشريعة فتكون أفعالهم القبيحة مرفوضة جملة وتفصيلا ، شرعاً وعقلاً ، ومن الأمثلة الحيَّة في عالمنا اليوم هو ما يفعله الكثير من كبار السياسيين في العراق وبعض الدول العربية والإسلامية حيث يتعاملوا مع الصهاينة والصليبين المسيئين للإسلام وللرسول الأعظم محمد (ﷺ) كبابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر وأمثالهم لما تقتضيه مصالحهم السياسية من العلاقة السرّية أو العلنية فيحضرون مؤتمراتهم ومجالسهم ومحافلهم ويُبادلوهم السلام والمصافحة والابتسامة والمؤاكلة وما خفي كان أعظم بل بعضهم مَن ذهب إلى إسرائيل وبعض آخر يستقبلهم في مقرّاتهم سرّاً وعلناً ، وآخر يحضر مؤتمرهم حول المحرقة اليهودية ويُقدّم لهم التعازي إضافة إلى عقد بعض الدول العربية معاهدة الاستسلام والتطبيع معهم وكذا عدم مبالاة بعض الدول الإسلامية من إقامة علاقة مع هذا الكيان الغاصب المحارب للإسلام والمسلمين والمغتصب لأراضيهم ومقدّساتهم وجميع حقوقهم والأمثلة والشواهد على هذه الأفعال المنكرة والقبيحة كثيرة ولسنا هنا بصدد ذكر أسماء هؤلاء السياسيين لأنَّ العالم اليوم يعلم بهم ويُدرك جيداً طبيعة حاكميتهم وحدود علاقاتهم وارتباطاتهم ، ومع هذا نقول بأنَّ هناك من المسلمين ممن

يعمل على محاربة المؤمنين والوشاية بهم واغتصاب حقوقهم وسرقتهم وسفك دمائهم وفعل كل ما يسيء إليهم وهُم بهذه الأفعال وما وراءها كاليهود بل قد يكونوا أشد من اليهود ظلماً وخطراً على الأفراد والشعوب والحكومات لتداخلهم في أوساط المؤمنين ، وعادة يميل هذا الصنف من الناس إلى مَنْ يُشابههم في المنهج والمسيرة فيتحالفون فيما بينهم تحت عنوان الصداقة التي يتوهموها في حين أنَّ الرابط بينهم هو المصلحة الضيِّقة أو التبعية الذليلة وفي هذا تأييد وتقوية للباطل والعدوان وتطبيع واستسلام مَهين .

إذن حينما نجد العلاقات في مجتمعاتنا يشيع فيها الخوض بتغيير الحقائق والتلاعب بالموازين وممارسة الكذب والغش وغصب الحقوق وتضييعها والانقلاب على الشريعة والعدالة وما إلى ذلك فإنَّما يعني ذلك التخلي عن الفطرة السليمة والتمرد على القانون الجماعي الذي يحترم الحقوق ويحفظ العلاقات الصادقة ، وهذا التمرد والعصيان يكاد يُشكل ظاهرة عامَّة تُهَدِّد واقع العلاقات والمجتمعات بالخطر والانهيار فيقع الناس في دائرة أزمة الثقة والتدين وبالتالي يكونوا مصداقاً لما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله) من أشراط الساعة كما عن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال في حجة الوداع[1] : ﴿**إن من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، وإتباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم المال، وبيع الدنيا بالدين، فعندها يُذاب قلب المؤمن في جوفه كما يُذاب الملح في الماء مما يُرى من المنكر فلا يستطيع أن يُغيره، ثم قال: إن عندها يكون المنكر معروفا، والمعروف منكرا، ويؤتمن الخائن، ويُخَوَّن الأمين، ويُصَدَّق الكاذب، ويُكَذَّب الصادق ..**﴾.

---

[1] - الوسائل : ج١٥ ص٣٤٨ باب ما ينبغي تركه من الخصال المحرمة... ح٢٢ .

وربما يغفل أو يتغافل هذا الإنسان الكاذب والخائن والمنافق وصاحب الهوى أنَّ وراءه مراقب عادل وهو الله تعالى يُسجِّل عليه منكراته وقبائحه ويتوعده بالعقوبة في الدنيا والآخرة حيث تكون عقوبة الآخرة هي نار جهنم وأما عقوبة الدنيا هي الخزي والفضيحة والعار وما إلى ذلك مما يُناسبه من حدود الشريعة ، وبطبيعة الحال أنَّ العناصر المؤمنة ترصد أتباع الشهوات والمنافقين وتحذر من التعامل معهم لأنَّهم خائنون وكاذبون ، وقد يغفل أو يتغافل أيضاً هؤلاء الفُسّاق عن سيِّئاتهم وقبائحهم وعوراتهم ورصد الناس لعيوبهم ومساوئهم فيأخذوا بذكر عيوب الناس والطعن فيهم بينما للناس أعينٌ وألسنٌ كما يقول الشاعر :

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى ❖ وعيشك موفورٌ وعرضك صيِّن
(لسانك) لا تذكر به عورة امرئٍ ❖ فكلّك عوراتٌ ، وللناس ألسن
(وعينك) إن أبدت إليك معايباً ❖ فصنها ، وقل : يا عين للناس أعين

وهكذا فالصفات والأعمال الحسنة والسيئة موجودة في عموم المجتمعات كمجتمع الصحابة وغيره ، فكان المنافقون والفاسقون والمشككون والمرتدون يحسدون أولياء الله ويحقدون عليهم ويَسبُّوهم ويطعنون بهم ويُقلِّلون من شأنهم ويقتلوهم كما فعل معاوية بن أبي سُفيان وأتباعه وأسياده بأهل البيت (عليهم السلام) وبالصحابة المؤمنين الصادقين ، ومع ذلك تجد الموازين المنحرفة تساوي العلاقة والارتباط بالله تعالى بين المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والعالم والجاهل وهكذا فيُقرنون معاوية وأمثاله بأهل البيت الطاهرين وبسلمان وعمار وأبي ذر والمقداد ، ويساوون في موالاة المؤمن والمنافق ... !!! ، بينما يجب الفرز والتمييز بينهم شرعاً وعقلاً وتعيين أولياء الله لموالاتهم وتعيين

أعداء الله للبراءة منهم ولو بعد مئات السنين وبذلك تتحدد جهة الحق والباطل .

وبرغم كل الصعاب والويلات التي يتحملها المؤمنون الصابرون عبر الأزمان المتعاقبة إلا أنّه لابد لهم دائماً أن يستفيدوا من تجارب السابقين ويُعدّوا أنفسهم إعداداً يفوق مستوى السفهاء والمرتزقة والمنافقين والطغاة لكي لا يكون هؤلاء عليهم سبيل وسلطان ، فيسعون جادّين لتحصيل التقوى وشَدّ أواصر المؤمنين بعضهم ببعض فيكونوا كالبنيان المرصوص تتحد مواقفهم في حركتهم الرسالية ومقاومتهم للظلم والفساد والانحراف في مختلف حياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية تطبيقاً لأحكام الشريعة وتخفيفاً للضغوط الشديدة عنهم ومواساة بعضهم للبعض الآخر، وكما أنَّ المؤمنين بعضهم أولى ببعض فإنَّ هذه الولاية وحدها لا تكفي ما لم تقترن بالبراءة من الأعداء لأنَّ هذا الموقف الشرعي يحفظ الجماعة والأمّة من التصدّع والانهيار ويكسبهم هوية صالحة منسجمة مع الحياة ومواكبة لحركتها الإصلاحية التقدمية .

ويوجد في عموم المجتمعات عناصر وصولية ونفعية ومرتزقة لا دين لهم يستفيدوا من العلاقات والمجاملات النفاقية فينسجوا لأنفسهم شبكات دفاعية يتحصنون بها ، وفي الوقت نفسه يستغلونها للهجوم على المؤمنين لتأمين مصالحهم وإثارة الشكوك والشبهات والطعون في نظام العلاقات الإنسانية في الشريعة الإسلامية في ضوابطها وموازينها الصادرة من الكتاب والسُنّة والعقل والهادفة لتنظيم علاقات الأفراد والجماعات والدول ، وكان من جملة ما يُثيروه من شبهات لتهديم البُنى الاجتماعية وتضييع القيم هو أنَّ نظام العلاقات الإنسانية في الشريعة إنّما هو بعيد في شموله لواقع المجتمعات الصغيرة والضعيفة

المتداخلة كما في المناطق الشعبية بل تقتصر هذه النُظُم والآداب على العلاقات الرسمية الواسعة والمجتمعات الكبيرة وذات المواصفات الخاصّة أو بالعكس .

ولكن هذه الشبهة واهية لدرجة الجهل بأنّ نظام العلاقات في الشريعة إنّما هو تكاليف شرعية مقررة في الفقه الإسلامي وتشمل الأفراد والجماعات والشعوب والدول والمجتمعات الصغيرة والكبيرة ، فالذي يعيش في مناطق شعبية أو مناطق راقية أو يتصف بوجاهة عالية سواء كانت علمية أو اجتماعية أو سياسية أو لا يتصف بها وما إلى ذلك من التصنيفات العامة والخاصة فإنّهم جميعاً يخضعون للتكاليف الشرعية في العلاقات من دون تمييز ولكن المناطق الشعبية والعشوائية بالرغم من كثرة التعايش والاحتكاك فيما بينهم وبلا تكلف ولا طغيان إلا أنّه يكثر فيها الفقر والجهل والمرض ، وهذه البيئة التي يكثر فيها عناصر الموت الثلاثة تكون قابلة أكثر من غيرها على نمو وتكاثر النفاق والغِيبَة والحَسَد وحدوث المشاكل إضافة إلى ما يعرض عليهم من غزو خارجي مخالف لمبادئهم وقيمهم وأخلاقهم مع تكالب السياسيين على استقطابهم الحزبي والتنظيم الكمي لشراء أصواتهم الانتخابية والذي يسيل له لعاب الضعفاء منهم وأرباب المصالح وذوي الاحتياجات وغيرهم من أجل أن ينفذوا إلى حياة يأملوا منها تحقيق طموحاتهم ولو بالقدر البسيط منها ، وحينئذٍ تتعدد بينهم الانتماءات والميول والاتجاهات لتلعب دورها التفريقي داخل المجتمعات وتمزيق علاقاتهم ، وتنتعش هذه الأمور عادة في هذه المناطق لشيوع حالة الفراغ العقدي والتشريعي إضافة إلى الفراغ نتيجة البطالة وكثرة الاحتكاك فيما بين الناس وتوسع الحديث بينهم وطول مجالسهم بمناسبة ومن دون مناسبة فتحدث لذلك المنافسات والمشاكل والأزمات لأبسط الأسباب وتتناقل أحاديثهم بين الناس بالزيادة والنقيصة والكذب وتنمو وتتوسع دائرة النفاق

ويتم ترويج الأزمات والمشاكل لمصالح خاصة وأهداف هي غريبة عن واقعهم ، وبهذا المستوى تكون هذه المناطق وأمثالها أكثر احتياجاً لتعميق جانب الفضيلة فيها وتحصينهم بتأكيد القيم الصالحة ومزاولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكافأة المُحسن ومعاقبة المسيء ودرأ الرذائل والمفاسد والانحراف والعمل على توفير فرص عمل شريفة لهم ومساعدتهم على العيش بحياة كريمة ، ولذا فلو تُركت هذه المجتمعات من دون مراعاتها ومن دون تطبيق نظام الشريعة معهم في العلاقات وغيرها فسوف تضيع وتنحدر إلى مستويات تكون غير قابلة لتأهيلهم والسيطرة عليهم وبالتالي نصبح قوماً تاركين للنصيحة ومهملين لدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصبح المبادئ والقيم والشريعة منتهكة لعدم ممارسة الدعاة للوظيفة الرسالية في هذه المجتمعات الصغيرة خشية على مصالحهم وعلاقاتهم وسلامتهم أو الجهل بطبيعة العملية الدعوية وحينئذٍ يضعف أو ينعدم الوازع الديني والأخلاقي بين الناس ويكثر الفساد والإفلاس وتنهار المجتمعات ونقرأ على الإسلام السلام في هذه المجتمعات والعياذ بالله تعالى والذين هُم أبناؤنا وإخواننا وأقرباؤنا وأصدقاؤنا وأحباؤنا ، ولذا لابد أن نصدق معهم وننصحهم ونخاف على مصالحهم الدنيوية المشروعة والأخروية ولا يتم ذلك إلا بمواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الخشية في الله من لومة لائم لأنَّه حتماً تتعارض هذه المسيرة الرسالية مع مصالح الشياطين الذين يعملون على رفع معاولهم لتخريب وتهديم صفوف الجماعة المؤمنة الصالحة ، وبالنتيجة يجب أن لا يُترك مجتمع مهما كان صنفه يعيش الفراغ العقدي والتشريعي والوعي والنصيحة والمشورة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنَّ الدين الإسلامي ما نزل على جماعة دون جماعة أو منطقة دون منطقة بل للعالمين جميعاً بلا استثناء فافهم وتأمل ،

كما أنّ ممارسة العمل الدعوي الرسالي رغم مسؤولياته وما يدفعه الداعية من ضريبة هذا العمل مما يقع عليه من العدوان ومحاولات التضليل والتسقيط إلا أنّه في النتيجة لا يمنع رزقاً ولا يُقدّم أجلاً ولا يُفقد الأصدقاء الصدوقين المخلصين كما هو مصداق قول أمير المؤمنين (عليه السلام)[1] : **﴿إنّ لنا محبّين لو قطعناهم إرباً إرباً ما ازدادوا لنا إلا حبّا ، ولنا مبغضين لو ألعقنا لهم - أطعمناهم- العسل ما ازدادوا لنا إلا بغضا﴾** .

وما بين هؤلاء المُحبّين الصدوقين وهؤلاء المُبغضين نجد من الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به وأن أصابه سوء غضب وتمرد لأنّ هؤلاء لا يتبعون الحق إذا كان على أنفسهم بل يتبعون مصالحهم وما تستلذ به نفوسهم ، وإن كان باطلا ، ولذا قال أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه)[2] : **﴿ما ترك الحق لي صديقاً﴾**.

والصديق في هذه الكلمة إنما يُراد منه الصاحب وليس الصديق الصدوق المُحب الودود الذي لا يترك صديقه ولا يخونه ولا يخذله خوفاً أو طمعاً أو . . .

ومن هنا وختاماً للحديث ندعو أبنائنا وإخواننا من مختلف طوائف ومذاهب وقوميات الشعب العراقي الجريح أن يعيشوا فيما بينهم بالشكل الذي لا يُخرجهم عن ساحة الأخوة والصداقة من أجل صلاح وتقدم البلاد والعباد والنهوض بواقع العراق إلى ما يوازي تلك الأخوة والصداقة بأعلى مراتبها فإنّ في ذلك النجاح في السيادة والأمن والاستقرار والازدهار و...، كما لا نغفل في دعائنا لإخواننا وأصدقائنا الأعزاء (حماهم الله من كل سوء) في أن يحذروا من الوقوع في مزالق الشيطان من الغرور والعُجب بالنفس والتعالي

---

[1]- نوادر المعجزات للطبري : ص٦١ حديث٢٦ .

[2] ـ الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم : ج٢ ص١٥٨ .

والكِبَر والاستهانة بالآخرين والاستخفاف بالعلاقات الإنسانية والوقوع في فخ الشيطان وهوى النفس والطمع والرضوخ لمقولة اقضي حياتك ساعة لربك وساعة لقلبك ، ويريدون من القلب هنا متابعة الشيطان ومغرياته ، فيعقد المغفلون الضالون ولاءين متناقضين استجابة لضلالات الشيطان ومتابعة لهوى النفس بتصور أنَّ هذا التصرف هو للموازنة بين دعوة العقل ورغبات النفس الأمَّارَة ، فتكون تصرفاتهم وعلاقاتهم مبنية على هذا الأساس الباطل الذي يتصالح فيه مع الرحمان ومع الشيطان ، ويتم تطبيق ذلك في تكريم كل من المؤمن والفاسق والمنافق والكافر على حَدٍّ سواء وبما يُزيل الفوارق بين الأصدقاء والأعداء وبين الأمناء والخائنين وبين أتباع الرحمان وأتباع الشيطان ، وبهذا التصرف فإنَّ الإنسان يخرج واقعاً في علاقاته عن دائرة الصداقة ، ومن هنا ينبغي أن يعلم الإنسان العاقل إنَّه ليس هناك مِنَ الظالمين والفاسقين والمنافقين والكافرين والضالّين والمحتلين و... مَنْ يكون أهلاً لعقد صداقة معه لأنه في نهاية المطاف سوف يكتشف أنها صداقة وهمية وهي في ظاهرها شيء وفي باطنها شيء آخر وبالتالي يخسر الإنسان صداقاته الحقيقية التي لا تعوض ولو بكنوز الدنيا الزائلة ووجاهتها المزيفة ومصالحها الدنيئة وعلاقاتها الكاذبة التي يغترُّ بها كثير من الناس ويأخذهم الكِبَر والطغيان ولكنها سرعان ما تزول وتنكشف لهم الأمور ويُسألوا عنها في يوم القيامة وتقودهم إلى الجحيم ليعرفوا حجمهم وواقعهم وجهة انتمائهم وإيمانهم وحينئذٍ لا ينفعهم الندم في حين أنَّ الإنسان العاقل ينبغي عليه أن يتدارك نفسه لِيُنقذها من فخ الشيطان وهوى النفس قبل فوات الأوان ويستعيد نشاطاته في جهة العمل والإخلاص والأمانة والمكاشفة والوفاء والولاء الصادق فاعتبروا يا أولي الألباب ، ولذا على الإنسان أن يلتزم بحقوق المؤمنين كما أسلفنا في مباحث الكتاب ، ونوَد أن

نذكر رواية فيها هذه الحقوق الواضحة وهي : ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنّه قال[1] : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿**للمسلم على أخيه ثلاثون حقا لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميته ، و يجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافئ صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، و يحفظ حليلته ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر إنعامه ، ويصدق أقسامه ، ويوالي وليه ، ولا يعاديه ، وينصره ظالما ومظلوما : فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه ، وأما نصرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه**﴾ .

وبمتابعة هذه الحقوق يكون الإنسان قد عصم نفسه من الوقوع في المظالم والخطايا والآفات والمفاسد وحينئذٍ يكون مؤهلاً وممهداً لصاحب العصر والزمان إمامنا وقائدنا ومنقذ البشرية من الظلم والضلال المهدي الموعود (أرواحنا لمقدمه الفداء) الذي تتوافد إليه شيعة أهل البيت (عليهم السلام) حين ظهوره (عج) ليؤسس دولة العدل العالمية ، وهذا لا يحصل إلا بوجود أتباع أشدّاء في ايمانهم وأبدانهم وهو ما ذُكِرَ في صفات الشيعة كما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) [2] : ﴿**يكون شيعتنا في دولة القائم (عليه السلام) سنام الارض وحكامها ، يُعْطى كلّ رجل منهم قوة أربعين رجلا**﴾ .

---

١ - بحار الأنوار للمجلسي ج٧١ ص ٢٣٦ ، حديث رقم ٣٦ .

٢ - بحار الأنوار ج٥٢ ص ٣٧٢ . حديث رقم ١٦٤ .

وقال أبو جعفر (عليه السلام)[1] : ﴿**القي الرعب في قلوب شيعتنا من عدونا، فإذا وقع أمرنا وخرج مهدينا كان أحدهم أجرى من الليث ، وأمضى من السنان ، يطأ عدونا بقدميه ويقتله بكفيه**﴾ .

إذن تجتمع القوة الإيمانية والبدنية والآلية عند الموالين الصادقين مصحوبة بالتسديد الإلهي على عهد ظهور الإمام صلوات الله عليه ليرث الأرض ومَن عليها ، ونسأل الله تعالى تعجيل فرج إمامنا (عليه السلام) وأن يجعلنا من أنصاره وأعوانه والذابّين عنه والراضين بفعله والمُسَلّمين لأمره والمستشهدين بين يديه في جملة أوليائه ليتحقق اليوم الموعود كما قوله تعالى[2] : ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾.

وقوله تعالى[3] : ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾.

---

[1] - بحار الأنوار ج٥٢ ص ٣٧٢ .

[2] - الحج/ ١٠٥ .

[3] - القصص/ ٥ .

المصادر والمراجع

ت	اسم الكتاب
	القرآن الكريم .
١.	الاختصاص : الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣) هـ ، تحقيق علي اكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين .
٢.	الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد : الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣) هـ ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .
٣.	أصول الكافي : ثقة الإسلام الشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني – المتوفى سنة٣٢٨/٣٢٩ هـ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري . دار الاضواء بيروت لبنان سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٤.	بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار : الشيخ محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ، بيروت - لبنان .
٥.	تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبري – راجعه نخبة من العلماء الأجلاء ، وضبطت النسخة على النسخة المطبوعة بمطبعة (بريل) بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩م .
٦.	تحف العقول عن آل الرسول : الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن شعبة الحرّاني ، من أعلام القرن الرابع ،

صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط٧ ، ١٤٢٥هـ ، ايران - قم المشرفة .

٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران لابي عبد الله القرطبي) ، أعاد طبعه دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

٨. الخصال : ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ، المتوفى (٣٨١ هـ) ، صححه وعلق عليه على اكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة .

٩. الدر المختار شرح تنوير الأبصار : الحصفكي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

١٠. دلائل النبوة : اسماعيل بن محمد الأصبهاني ، المتوفى (٥٣٥ هـ) ، تحقيق محمد محمد الحداد ، دار طيبة ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .

١١. رسالة الحقوق : الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) .

١٢. السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللحاج : ابراهيم بن سليمان الفاضل القطيفي ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الاسلامي ، ط١ ، جماعة المدرسين بقم المقدسة .

١٣. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح : أبو عيسى محمد الترمذي ٢٠٩- ٢٧٩هـ ، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٤. شجرة طوبى : محمد مهدي الحائري ، ط٥ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٥ هـ .

١٥. علل الشرائع : ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ، المتوفى (٣٨١ هـ) ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٦م .

١٦. عيون الحكم والمواعظ : أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي ، من أعلام القرن السادس ، تحقيق حسين الحسني البيرجندي ، ط١ ، دار الحديث ، قم إيران .

١٧. الفروع من الكافي : ثقة الإسلام الشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني – المتوفى سنة٣٢٨/٣٢٩ هـ ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري . دار الأضواء بيروت لبنان سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .

١٨. الفوائد الرجالية : محمد مهدي بحر العلوم ، المتوفى (١٢١٢ هـ) ، تحقيق وتعليق محمد صادق بحر العلوم ، ط١ ، مكتبة الصادق ، طهران .

١٩. كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، المتوفى (١٧٥ هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، ط٢ ، ١٤٠٩ هـ .

٢٠. لسان العرب : ابن منظور الأفريقي المصري ، الناشر أدب الحوزة – قم – إيران / تاريخ النشر ١٤٠٥هـ .

٢١. المسائل العكبرية : الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بـ(الشيخ المفيد) ، المتوفى (٤١٣ هـ) ، اللجنة الخاصة لألفية الشيخ المفيد ، ط٢ ، بيروت لبنان ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

٢٢. مكارم الأخلاق : الشيخ الجليل رضي الدين الطبرسي ، من أعلام القرن السادس الهجري ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

٢٣. من لا يحضره الفقيه : ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ، المتوفى (٣٨١ هـ) ، صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين ، قم المقدسة .

٢٤. نهج البلاغة : جمع الشريف الرضي ، المتوفى (٤٠٦ هـ) ، شرح محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .

٢٥. نوادر المعجزات في مناقب الائمة الهداة : محمد بن جرير الطبري ، من اعلام القرن الرابع ، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عليه السلام) ، قم المقدسة ، ١٤١٠ هـ .

٢٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ هـ - دار إحياء التراث العربي – الطبعة الرابعة- تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي .

محتوى الكتاب

مقدمة .	٣
مدخل .	١١
مفهوم الصداقة .	١٣
مفهوم العداوة .	١٤
مفهوم الخيانة .	١٩
أصناف العلاقات بين الناس .	٢٧
حدود الصداقة .	٢٩
بيان الحدود الخمسة في الرواية .	٣٠
الحد الأول : أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة .	٣٠
الحد الثاني : أن يرى زينك زينه وشينك شينه .	٣١
الحد الثالث : أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال .	٣٢
الحد الرابع : أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته .	٣٣
الحد الخامس : أن لا يُسْلِمَك عند النكبات .	٣٤
الأصدقاء ثلاثة والأعداء ثلاثة .	٣٩
القرآن الكريم يُحَدِّد في آياته جهة الموالاة وجهة البراءة.	٤٢
أولاً : الشيطان عدو للإنسان فرداً وجماعة .	٤٢
ثانياً : بيان حزب الله وحزب الشيطان .	٤٣
ثالثاً : المؤمنون بعضهم أولياء بعض والكافرون والظالمون	٤٤

بعضهم أولياء بعض .
رابعاً : القتال في سبيل الله والقتال في سبيل الطاغوت . ٤٤
هل يوجد إنسان أو عمل يوصف بالاستقلال ؟ . ٥٤
مؤاخاة أهل السوء . ٦١
ما هو الطريق الذي نسلكه لنجاح علاقاتنا ؟ . ٧٣
الأخلاّء والخُلَّة . ٧٨
البطانة . ..... الخَبَال . ٨٣
ما هو موقفنا من العلماء والجُهَّال ؟. ٩١
ما ورد في القرآن الكريم بشأن العلماء . ٩٣
ما ورد في السنة بشأن العلماء . ٩٣
ما ورد عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بشأن العلماء . ٩٤
ما ورد على لسان حكماء البشر بشأن العلماء . ٩٥
مراتب الصداقة . ٩٩
خطوط الرجعة بين الأصدقاء . ١٠٥
رضا الناس غاية لا تُدرك . ١٠٩
اختبر صديقك . ١١٥
شواهد فيها عِظة وعِبرة . ١٢١
الحرية الشخصية وحدود الصداقة . ١٢٧
خاتمة . ١٣٥
مصادر البحث . ١٥١
محتوى الكتاب . ١٥٥